عيسى اليازجي

المسيحية المتهودة

في خدمة الصهيونية العالمية

* المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية

* تأليف: عيسى اليازجي

* الطبعة الأولى 2004

* **الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع**

سورية - دمشق - ص.ب: 22205

هاتف: 4418202 - 4418172

* التوزيع في جميع أنحاء العالم:

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

* موافقة الإعلام: 76051 - 2004/1/10

* ملاحظة: الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر عن وجهة نظر الدار الناشرة

* العمليات الفنية: **مؤسسة سندباد**

سورية - دمشق - ص.ب: 9223 - هاتف: 2231055

فاكس: 2452565 - بريد الكتروني: sindbad@scs-net.org

ما أحوجنا اليوم ونحن في القرن الحادي والعشرين إلى تنقية التعاليم المسيحية من البدعة اليهودية الكبرى التي جعلت لإسرائيل وإله إسرائيل وأنبياء إسرائيل مكاناً في صلواتها، وما أدعى الكنائس السورية والعالمية بمختلف انتماءاتها المذهبية أن تطرد إله الشر والإثم من هياكلها، فتعيد للمسيحية صفاءها وإنسانيتها ورسوليتها. أليس الجمع بين العهدين القديم والجديد، مهما كانت التبريرات والحجج، دليلاً على استمرار تأثير المسيحية المتهودة في المسيحية، وإيقاعا لها في فخاخها وشباكها، وهو ما تحاول الصهيونية العالمية فعله لتهديم التعاليم المسيحية وصلب المسيح مرة أخرى..

مقدمة

في مؤلفي السابق «مآثر في العصر الروماني»، عرضت إلى المسيحية باعتبارها مأثرة سورية إلا أن بحثي اقتصر على ما هو ضروري إيضاحه للتعريف بالدور السوري في تطوير الشرع الروماني، الذي اعتبر، كما أجمع الباحثون على أن ثمانين بالمئة منه تشريعاً سورياً وثمرة من ثمار العقل السوري المتفوق، عبّر عنه فقهاء سوريون من أمثال: بابنيان، ألبيان، بولس، موديستينوس وغيرهم من فقهاء وأساتذة «مدرسة بيروت للحقوق» التي سمّاها الرومان «الأم المرضعة للحقوق في العالم».

هذا يعني أن بحثي المنوّه به قد استوفى غرضه، إلا أنه لم يستوف حقه، إذ بقي بحاجة لتصحيح بعض ما ورد فيه من وقائع تاريخية، كما والتوسع في بعض نواحيه، خاصة إذا كان البحث يتناول المسيحية كتعليم، وما واجهته في الماضي وما تواجهه اليوم من خطر التهوّد والتصهين واتساع هذا الخطر ليشمل قطاعات من شعبنا الجاهل حقيقة مايُدعى إليه وما ترمي إليه هذه الدعوة، أما القطاعات من شعبنا العارف والمدرك الغاية التي يسعى السّاعون إليها، وأقلّها تهويد المسيحية وصهينتها وإشاعة مفاهيم ضالة ومضللة تحت ستار البحث عمّا سموه بالحقيقة والنقد الموضوعي، فواجبهم مواجهة هذا الخطر والتصدي لتداعياته لما يشكله من تهديد جدي لتراثنا الثقافي الروحي والقومي.. وعليه لم أجد مندوحة بل لزاماً علي إلقاء الضوء على اليهودية تاريخاً ومعتقداً وفكراً وسياسة، ثم على التهود قديمه وحديثه بمواجهة المسيحية الاصلية بأبعادها الروحية والمسكونية

الرسولية التي حمل أعباء التبشير بها مسيحيون سوريون اعتبروا ولا يزالون يعتبرون قادة الفكر المسيحي.

طبعاً، ليس قصدي التبشير الديني، فلست داعية دينيا بقدر ما، قصدت وأقصد وضع الأمور في نصابها والدعوة إلى تنقية المسيحية من الأدران التي علقت بها، وتدارك ما يمثله هذا الخطر الدّاهم على أبناء أمتي وخاصة المسيحيين منهم.. داعياً بإخلاص وعي هذه المخاطر. ومواجهة آثارها

عيسى اليازجي

اليهود: تاريخاً ومعتقداً دينياً وفكراً سياسياً

1 ـ لمحة موجزة عن التاريخ اليهودي:

«اليهود» اسم مشتق من كلمة «يهوذا» الابن الرابع «ليعقوب» كما تزعم التوارة، أما «إسرائيل» فهو الاسم الذي أطلق على يعقوب، ويعني «المناضل مع الله» وعلى ذلك دعي اليهود «بني إسرائيل»... أما لفظ «العبرانيين» فأطلق عليهم، لأنهم عبروا نهر الأردن إلى الأرض التي «اختارها» الله لهم حسب رواية التوراة أيضاً.

وحسب رواية التوراة أيضاً وأيضاً قَدِمَ اليهود من مصر بقيادة موسى وهارون إلى «أرض كنعان»، «الأرض التي وعدهم الله بها»، وبعد تيهٍ في برّية سيناء دام أربعين عاماً، قادهم يشوع بن نون إلى «أرض الميعاد» أي فلسطين.

«أما عن أصل اليهود والزعم بأنهم ساميون، فيرجع. كما هو زعم التوراة، إلى انتسابهم إلى سام أحد أولاد نوح: سام وحام ويافث.. ونوح هذا هو من سلالة آدم، ولد بعده بألف وستمائة وخمسين سنة» (تكوين 5: 3،39) وعاش تسعمائة وخمسين عاماً (تكوين 9:29).

كان نوح كما تروي التوراة رجلاً صالحاً (تكوين 6: 9) أقام الله (يهوه) معه ومع نسله ميثاقاً بعد نهاية الطوفان (تكوين 9:8) وأحلَّ له أكل الحيوان والنبات، وجعل علامة لهذا الميثاق قوس قزح (9: 12 - 17).

ويبدو أن «نوحاً» كان «فلاحاً»، فقد زرع كرماً وصنع خمراً، وشرب من خمر الكرمة التي زرعها، فسكر وتعرّى داخل خبائه (تكوين 9: 12) ودخل عليه أصغر أبنائه (تكوين: 9: 24) فأبصر عورة أبيه، فخرج وأخبر

إخوته بذلك فأخذوا رداءً ووضعوه على أكتافهم ومشوا إلى الوراء وستروا عورة أبيهم ووجههم إلى الوراء فلم يبصروا عورة أبيهم (تكوين 9: 22)، فلما أفاق نوح من سكره وعلم بما حدث أخذ يشتم ابنه الأصغر ويلعنه قائلاً: «ملعون كنعان» (تكوين 9: 25) فاستبيحت أرضه وأصبحت الأرض الموعودة لليهود.

هكذا حلَّت اللعنة على «كنعان» وأبنائه من بعده: «عبد العبيد يكون لأخوته» بينما بارك «سام» (ليكن إله «سام» مباركاً وليسهّل الله ليافث فيسكن في مساكن «سام»، وليكن كنعان عبداً لهم). بينما من سياق القصة يتبيّن أن اللعنة كان يجب أن تحلّ على «حام» لأنه هو الذي أبصر عورة أبيه وليس ابنه «كنعان»، ولكن نوحاً لا يلعن حاماً بل يلعن «كنعاناً» أحد أبناء حام الأربعة (تكون 10: 6).. «هذه كانت رغبة إسرائيل كما هي رغبة يهوه».

أما عن أصل «إسرائيل» وموطنهم الأصلي، فمما لا شك فيه أنه لا يوجد شعب من شعوب الأرض أحيط تاريخه بالغموض كهذا الشعب، خاصة فيما يتعلق ببدء وجوده في سورية الجنوبية، مما أدّى إلى خلاف أو بالأحرى إلى استنتاجات تاريخية مختلفة، فبينما المرويات العبرانية التوراتية تقول وبشكل مختصر جداً إن «إبرهم» جدّهم الأعلى وقد يكون «قبيلتهم الأصلية[1]» أتى أو أتت من «أور» في بلاد الرافدين بطريق «حرّان» وأقام أو أقامت مؤقتاً قرب «حبرون» (الخليل)، وترك وريثه «إسحق» ابناً اسمه «يعقوب» وبعد أن أقام هذا الأخير في «فدان آرام» عدة سنوات وقع عليه الاختيار ليكون صاحب الشأن تفضيلاً له علىأخيه «عيسو»، فتغير اسمه أصبح «إسرائيل»، بينما أصبح اسم «عيسو

(1) تاريخ سورية ص 191 الدكتور فيليب حتي.

آدم» (أي أحمر)، وحلّ ورثته فيما بعد في جبل «سعير» وعرفوا باسم «الآدوميين»، و«هكذا أزيل «عيسو» من حياة العبرانيين وتفكيرهم كما أزيل «إسماعيل» بن «إبراهيم» من جاريته المصرية «هاجر» وفضّل عليه «إسحق»، أما «يوسف» ابنه الحادي عشر وهو الابن الأكبر من «راحيل»، فقد باعه اخوته لجماعة من مصر حيث ارتفع شأنه في الدولة المصرية ونتيجة لمجاعة حلّت في الأرض ارتحل جماعته إلى مصر وتعرّفوا عليه وعاشوا بكنفه أجيالاً عديدة إلى أن عادوا إلى فلسطين بقيادة موسى[(2)].

والحقيقة الأساسية المجمع عليها، أن «إسرائيل» لم يكن شعباً واحداً، بل مجموعة قبائل متبدّية، منها ما كانت عبرانية عاشت في أرض كنعان، ومنها قبائل كانت في الأصل آرامية، ومنها قبائل يمنية.

«أرض كنعان» المقصودة ليست ولم تكن فلسطين، كما تزعم التوراة، بل هي «تهامة عسير» بين الطائف وحدود اليمن، بينما القبائل الآرامية عاشت في الحجاز، أما القبائل اليمنية فقد عاشت في جنوب اليمن، كما يرى الدكتور كمال الصليبي في مؤلفيه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» و«خفايا التوراة وأسرار شعب بني إسرائيل» واستنتجه من واقعة عدم العثور على الأسماء الواردةفي التوراة في فلسطين والعراق والشام وسيناء ومصر والعثور عليها في - «جنوب الحجاز» وبلاد «عسير» و«جنوب اليمن» معتمداً في ذلك المقابلة والمقاربة اللغوية بين أسماء هذه الأماكن والأماكن الموجودة في التوراة[(3)]. فضلاً عما ذكره «فإن عدم وجود أي ذكر ليوسف أو لأي شخص يتصّف بصفاته في المدوّنات

(2) المرجع السابق ص 192.

(3) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص 9 من المقدمة وحتى 120 و121 كمال الصليبي

المصرية القديمة التي وجدت هناك حتى اليوم، وهو أمر معروف عند جميع أهل الاختصاص.. جعل هؤلاء يعتبرون أن هذه القصة فيها كثير من المبالغة أو أنها من نسج الخيال.. مما جعل المؤلف وبعد مقابلاته اللغوية يرجّح أن يكون «يوسف» عبراني الأصل، وأن يكون موطنه، كما هو شأن أسلافه، «أرض كنعان» أي «تهامة عسير» ولم يستبعد أن يكون إله اليسر والنجاح ويقابل بالعربية اسم «يزيد»(4).

أما المؤرخ Raymonod Well في كتابه «فينيقيا وآسيا الغربية» فقد دعا إلى وجوب التفريق بين «يوسف» و«يعقوب» اللذين هما، بحسب التوراة من الآباء، وبين «يوسف» و«يعقوب»، اللذين هما من الأمراء الكنعانيين، فأساطير اليهود ظهرت بعد دخولهم إلى فلسطين حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم أضافوا عليها أخبارهم التي تهدف إلى غايتين:

الأولى: امتلاك الهياكل الكنعانية في فلسطين وتحويلها إلى معابد لإلههم «يهوه».

الثانية: تبرير احتلالهم البلاد باعتباره أتى ملبّياً إرادة إلهية.

«لقد وجد الفاتحون اليهود في مدن فلسطين الهياكل القديمة «بيت إيل» و«حبرون» و«سيشام» و«بئر السبع» وسواها فادعوها لأنفسهم، كما انتحلوا الأسطورة الكنعانية التي تتحدث عن «يعقوب» البطل الذي بنى هيكل «بيت إيل»، فجعلوا من «يعقوب» و«يوسف» جدّين لهم تسهيلاً للاستيلاء على الهيكل».

المحقق غيتاني Gaetani في كتابه دراسة في تاريخ الشرق يجزم كذلك بأن اليهود أو العبرانيين لم يكونوا قط في مصر، مستنداً إلى

(4) المرجع السابق ص 152 و154 و164.

تحقيقات تاريخية وجيولوجية وجغرافية، فهو يثبت أن العبرانيين لم يكونوا سوى قبائل بدوية موقعها شمال شرق سورية في بقعة كانت تدعى قديماً «مصرو» Misru، وأن اليهود تعمّدوا الخلط بين هذه البقعة ومصر المعروفة اليوم ليوسّعوا تاريخهم وليتمكنوا من انتحال حكاية يوسف التي نقلوها من ما بين النهرين وجعلوا حوادثها تجري بين سورية ومصر[5].

و«يؤيد هذه النظرية ما ورد في المراسلات المكتشفة في «تل العمارنة» في مصر التي تبودلت بين أمراء فينيقيين وفرعون، وفيها أخبار غزو قبائل «الخبيرو» أي البدو لبعض القرى والمدن الجنوبية. فاليهود لم يكونوا قبل مجيئهم إلى سورية، يعرفون نظاماً اجتماعياً مدنياً، لأنهم كانوا في حالة بداوة بربرية ولم يكونوا تمدنوا لا في مصر، ولا في مكان آخر..».

أما قصة «موسى» وقصة «الخروج» من مصر، فهي من جملة المرويات التوراتية المستبعد صحّتها من قبل المؤرخين وعلماء الآثار، طالما أنه لم يتمّ العثور على أي أثر لمثل هذا الخروج لا في أرض مصر ولا في سيناء ولا في فلسطين، فضلاً عن أن المدونات المصرية خالية هي الأخرى من أية إشارة إلى مثل هذا الخروج أو إلى وجود شعب اسمه إسرائيل في مصر في أي وقت[6].

في عام 1250 ق.م ظهر العبرانيون هؤلاء المتحدّرون من أخلاط العشائر، في الجهة الجنوبية الشرقية من سورية - أي في بادية شرق الأردن وهدفهم احتلال الأراضي الخصيبة، وكان عددهم لا يتجاوز ستة أو سبعة آلاف.. وكان أول فوز لهم على «سيحون» ملك الآموريين وتبعه

(5) الإسلام في رسالتين ص 20 سعادة.

(6) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ص 204 كمال الصليبي.

فوز آخر على عوج (og) الملك الجبار «باشان» وفي فلسطين كانت بين المدن الأولى الكنعانية التي سقطت لجيش (تل الدوير) و«عاي» و«أريحا»، بينما لم تسقط «مجدو» إلا بعد حوالي مائة عام، وأدى التغلغل العبراني في الجليل إلى فتح «حاصور» مؤقتاً.. ولم تسقط المدن الأخرى المهمة مثل «بيت شان» و«أورشليم» و«جزر» حتى حوالي 1000 عام ق.م.

كان الفتح العبراني لفلسطين إما عسكرياً أو تغلغلاً بطيئاً في «أرض اللبن والعسل».. أما المعارك، فالمرويات التوراتية أضفت عليها الكثير من المبالغات والخرافات..

.. شملت فترة الاستيطان العبري الربع الأخير وثلاثة الأرباع القرن الحادي عشر، وقد قسّمت الأراضي المحتلة بين القادة، وسمّي عصرهم «عصر القضاة»، وكان من أشهرهم «شمشون» الذي أضفى العبرانيون على شخصيته وحروبه إضافات مدعاة للسخرية[7].

ـ كان «الفلسطينيون» بعد الكنعانيين أقوى المنافسين الذين قاتلوا العبرانيين الغزاة، و الفلسطينيون» هم من شعوب البحر استوطنوا الساحل السوري ومن مدنهم «غزة» و«عسقلان» و«اشدود» و«عفرون».. ثم توسّعوا نحو الداخل حتى بلغوا «بيت شآن» ـ «بيسان» وكسروا العبرانيين حوالي 1050 ق.م واستولوا على «تابوت العهد» ونقلوه إلى «أشدود».

في عام 1020 ق.م تم اختيار «شاول» كأول ملك لليهود، ولكن مملكته لم تمتدّ إلى أبعد من منطقة قبيلته «بنيامين»، وبعد قتال مرير مع الفلسطينيين قتل ثلاثة من أولاده في معركة «جلبوع» ثم انتحر هو،

(٧) تاريخ سورية ص٩٥ الدكتور فيليب حتي.

فقطع الفلسطينيون رأسه وسمرّوا جسدّه وجسد أبنائه على سور «بيت شآن» وأرسل كغنيمة إلى معبد «عشتاروت».

ـ اختير «داود» بعد «شاول» وكان ابن زنى: «ها أنذا بالإثم صُوِّرت وبالخطيئة حبلت بي أمي»، كما كان «زانياً هو نفسه» ومن أبنائه الذين تولوا الملك بعده «سليمان» ابن زوجة أوريا الحثي التي انتزعها داود من زوجها وقتله بعد ذلك ليستر عاره، ومع هذا فقد كان ملكاً ناجحاً في غزواته أخضع «موآب» و«آدوم» و«عمون» وانتزع «أورشليم» من «اليبوسيين» الكنعانيين، وبنى فيها قصره من خشب الأرز على يد معماريين من المدينة الفينيقية صور.

يعتبر عصر «سليمان» العصر الذهبي لمملكة اليهود، فقد بنى الهيكل من خشب الأرز على يد الفينيقيين أيضاً وضمّ الأصنام التي كان يعبدها نساؤه المائتان.. وقد حيكت حوله الأساطير حتى أن «الجن» كانت تأتمر بأمره وأن ملكة سبأ «بلقيس» قدمت إلى بلاطه لتستمع إلى حكمته.. إلا أن كل هذا لا يشفع له خطاياه التي كان أولها قتل أخيه «أدونيا» للاستيلاء على الملك وعلى زوجة أبيه الصبية «أبيشع» الكنعانية.

بعد «سليمان» قسمت المملكة اليهودية إلى قسمين: شمالي ويدعى «مملكة إسرائيل» عاصمتها «السامرة» وتضّم عشرة من أسباط اليهود وملكها «يربعام» أحد موظفي سليمان.. وجنوبي ويدعى مملكة «يهوذا» وتضم سبطي «يهوذا» و«بنيامين» وعاصمتها «أورشليم»...

وهكذا نشأ في فلسطين مملكتان يهوديتان، ملأتا الجو الدولي بالدسائس والمؤامرات وعقد المعاهدات ونقضها، فثارت ثائرة الدول عليهما وغزا «سرجون» الأشوري «يهوذا» ودخل عاصمتها «أورشليم»

وسبى منها 27.290 أسيراً ساقهم إلى ما بين النهرين، كما قضى على «مملكة إسرائيل».

أما دولة «يهوذا» الجنوبية فقضى عليها «نبوخذنصر» لأنها نقضت معاهدته وانضمت إلى مصر، فحاصر «نبوخذ نصر» أورشليم، وحاول «صدقيا» ملك إسرائيل الفرار إلى مصر ولكن قوات بابل أدركته، ففقأت عينيه واقتادته إلى بابل أسيراً. وكان هذا عقاباً ناله «صدقيا» الذي أجلسه «نبوخذنصر»، بنفسه على العرش فتنكر لولي نعمته بعد عشر سنوات، ثم دّمر القائد البابلي «نبوذران» مدينة «أورشليم» سنة 586 ق.م وأحرق الهيكل وذبح الكهنة والزّعماء، فتشتت اليهود بين مصر وما بين النهرين والجزيرة العربية.

- عندما ملك «كورش الفارسي»، وانتهت بذلك الدولة البابلية، عزم على إعادة الدولة اليهودية إلى سابق مجدها وساعدها على بناء هيكل «أورشليم»، ويعتقد أن السبب في هذه المساعدة هو أن اليهود ساندوه خفية للوصول إلى العرش، فأعيد قسم منهم إلى أورشليم بقيادة «زربابل» من نسل «داود».

- في عهد «داريوس» قاد «نحميا» جمهوراً من اليهود المسبيين وبُدئ ببناء مدينة «أورشليم» وترميم أسوارها وبناء الهيكل، وهكذا تأسّست دولة يهودّية يحكمها ويديرها الكاهن الأعظم.

اليهود في العصرين السلوقي والروماني: أبرز الأحداث في العصر السلوقي هو غزو «الاسكندر المقدوني» مملكة الفرس، وبعد وفاته قسم قادته البلدان التي افتتحها، فكانت «فلسطين» من نصيب «بطالسة مصر»، أما السلوقيون فقد حكموا سورية، ووحّدوا البلاد واستعادوا جنوبها.

في العصر السلوقي نشبت «الثورة المكابية» في فلسطين بمساعدة الرومان لزرع الضعف في الدولة السلوقية السورية بقيادة الكاهن «متايتاس الحسموني» وأبنائه، واستطاع بعد ثلاث سنوات من احتلال الهيكل وتنصيب نفسه كاهناً أعظم.

لم يطل الزمن على هذه الثورة حتى بدأ الشقاق والنزاع على الملك والكهنة، فاجتاح الجيش الروماني البلاد وحاصر أورشليم وفتحها بعد سنتين.

كانت الحالة الاجتماعية سيئة للغاية، فقد كَثُرَ طلاب الملك وكثُرت المشاكل والمشاحنات بينهم، فطلب المحافظون في أورشليم من الرومان حكماً مباشراً، فأرسلت رومة في السنة السادسة للميلاد أول والٍ روماني إليها، بينما بقي مجمع اليهود (السّنهدرين) مرجعاً دينياً، أما الكاهن فكان يعيّنه الوالي الروماني.

كل ذلك لم يحسّن الأوضاع بل زادها سوءاً، كثُرت التعدّيات وأصبح من العسير تنفيذ أحكام الدولة وقوانينها، ولم يتمكن أحد من الولاة المتعاقبين أن يفعل شيئاً لتهدئة الحال.

في عهد الوالي «بيلاطس البنطي» ظهر «السيد المسيح»، ودامت ولايته من سنة 26م إلى سنة 36م، وفي سنة 67م اشتعلت الثورة اليهودية على الرومان، فأتى القائد الروماني «تيطس «وحاصر «أورشليم» فانتشر الجوع بين السكان، ولم يكن بد من تسليم المدينة إليه، فهدم الهيكل وقتل عدداً كبيراً من اليهود وباع ألوفاً منهم عبيداً، وأسر آخرين وألقى بقسم منهم طعاماً للوحوش في ملاعب «أنطاكية» وغيرها.. لكن فِتَنَ اليهود لم تتوقف، فقد أشعلوها في «مصر» و«القيروان» و«قبرص»، وبدأوا يعدّون أنفسهم لأعمال أوسع، فأعلنوا في العام 132م ثورة كبرى في

فلسطين، ولكن الإمبراطور الروماني «هادريان» قضى على الثورة وأباد الكثيرين منهم ومنعهم من ممارسة طقوسهم الدينية.

اليهود في أوروبا بعد الشتات: وجِدَ اليهود في أوروبا بعد خراب «أورشليم» على يد الرومان، وامتلأت مدن الإمبراطورية الرومانية بالعبيد منهم، بينما جعلهم الإمبراطور السوري «كاراكلا» الذي حكمت أسرته رومة، مواطنين رومان.

وعندما انتشرت الديانة المسيحية في أوروبا، واعتنقها أباطرة رومة، ذاق اليهود اضطهاداً امتدّ من القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية حتى إسبانيا الخاضعة للقوط، ولم يُنقذهم من هذا الوضع سوى الفتح الإسلامي لها، فبدأوا يمارسون نشاطهم التجاري في «الأندلس» و«مصر» و«القيروان».

في القرن الحادي عشر انتشر الإقطاع في أوروبة، وقلّ النقد، فرأى اليهود أن الدين «بالربا الفاحش» هو الوسيلة الوحيدة للربح الوفير بأقل جهد ممكن، فضلاً عن أنه يمكّنهم من التسلّط على طبقات اجتماعية نافذة.

وفي القرن الثاني عشر بدأت موجة من الاضطهاد نتيجة ما قررته المجامع الدينية الكاثوليكية من تحريم اختلاط المسيحيين باليهود وأجبرت هؤلاء على حمل شارة خاصة تميزهم من سواهم، وفرضت عليهم السكن في أحياء خاصة بهم عرفت باسم «الغيتو» GUETO كان لها طابعها الخاص، فقد اشتهرت بعلو أبنيتها ووجود ملاهي اليهود الخاصة بهم ومتاجرهم وحوانيتهم فيها، مما أدّى إلى ازدياد عزلتهم عن المجتمعات التي يعيشون بينها وشعور تلك المجتمعات بابتعادهم عنها...

وعندما بدأت شعوب أوروبا تستفيق من سباتها شعرت باستغلال اليهود ثرواتها القومية عن طريق التجارة والرّبا الفاحش وأعمال الوساطة والسمسرة، فبدأت حملة جديدة ضدهم انطلقت من إنكلترا عام 1290م تجلّت بإصدار الملك «إدوار الأول» أمراً بطردهم من البلاد ثم تبعتها فرنسا عام 1306، أما في ألمانيا فقد اتهم اليهود بتسميم الآبار ونشر وباء الطاعون في البلاد، فحدثت مذابح أدّت إلى هجرة يهودية واسعة النطاق نحو بولونيا بين عامي 1333 - 1370م.

أما في إسبانيا، وبعد سقوط «غرناطة» وقيام الدولة الإسبانية نتيجة اتحاد أمارتي قشتالة و«نافارا» بزواج «فرديناند» و«إيزابيلا» تمَّ طرد اليهود والمسلمين منها سنة 1492م، ومن البرتغال سنة 1496م، ثم من جنوب إيطاليا ونابولي وميلانو الأماكن الخاضعة للحكم الإسباني، هذه الإجراءات الشاملة لجميع أنحاء أوروبا، دفعت بالبعض منهم إلى اعتناق المسيحية ظاهراً وممارسة طقوسهم الدينية سراً، وقد دعي هؤلاء «المارانوس».. وعندما انكشف أمرهم أعدمت محاكم التفتيش في إسبانيا العديد منهم، ففرّوا إلى فرنسا وإنكلترا وأوروبا الشرقية والدولة العثمانية، ولكن الأتراك لم يلبثوا أن انقلبوا عليهم وبدأوا المذابح بين عامي 1648 - 1649 فعادوا إلى أوروبة.

اليهود في عهد الثورة الفرنسية ونابليون: تغيرت النظرة إلى اليهود في عهد الثورة الفرنسية، ففي عام 1791، قررّت الجمعية الوطنية الفرنسية اعتبار اليهود مواطنين فرنسيين، وفي الوقت نفسه تقريباً نص الدستور الأميركاني، إثر نشوب الثورة الأميركية واستقلال الولايات المتحدة، على أن السكان متساوون في الحقوق والواجبات.

في عهد نابليون وأثناء غزوه مصر وجنوب سورية أعلن عن تشجيعه قيام دولة يهودية في فلسطين بحماية ومساعٍ فرنسية.. وكذلك الحال في

بقية أوروبة استمرت حركة تحرير اليهود، ففي بلجيكا أُلغيت القيود على اليهود عام 1830، وفي إيطاليا «وبالرغم من اعتراض البابا» تم الاعتراف بحقوق اليهود عام 1870، وفي ألمانيا عام 1871، أما في إنكلترا فقد أعطي اليهود الحقوق المدنية سنة 1890، وأصبح بإمكان اليهودي أن يعمل ويصل إلى أرفع المناصب ما عدا الملك...

في شرق أوروبة بقيت روسيا القيصرية ألدّ أعداء اليهود، لذلك عندما نشبت الثورة البلشفية، كان اليهود أشدَّ الناس حماساً لها، بل من قادتها والعاملين على انتصارها وانتشارها في أوروبا والعالم.

في القرن الثامن عشر ظهرت دعوة تكاد تكون الوحيدة في العالم اليهودي، هي دعوة المفكر اليهودي الألماني «موسى مندلسون» (1729 ـ 1786) اليهود إلى اعتبار أنفسهم مواطنين للدولة التي يقيمون فيها، لأن الدين يتعلق بالنفس وليس له علاقة بالقومية، فترجم التوراة إلى اللغة الألمانية لتصبح هذه اللغة لغة الصلاة بديلاً عن العبرية.

كانت دعوة «مندلسون» المحاولة الفريدة لإخراج اليهود من تعصبّهم الأعمى وحثّهم على التخلّي عن روح الانعزال والتزمّت.. ولكن هذه النظرة لم تقف بوجه «الصهيونية» التي بدأت تجتاح عقول ونفوس اليهود.. لقد فات «مندلسون» وهو جد الموسيقي المشهور «مندلسون» الذي انتهى الأمر به إلى اعتناق المسيحية، أقول لقد فات «مندلسون» أن شعبه الذي تحجّر على معتقداته الدينية «الاحتكارية» لا يمكن أن ينسجم مع الروح الحديثة المتجدّدة المنفتحة على الآخر.

2 ـ الديانة اليهودية:

الدين اليهودي تعبير عن الخلق اليهودي والنفسية اليهودية ونظرة اليهود إلى الحياة والكون، لذلك نراه معتقداً يبرِّر امتياز الشعب اليهودي

من باقي الشعوب لا لسبب واضح منطقي، سوى أن إلههم «يهوه» أراد ذلك ولا مردّ لإرادته العليّة.

لا يوجد دين حوى من المتناقضات، وتنكر للمنطق والقيم الأخلاقية من محبة وشرف وعدل مثل دين اليهود. فالمسيحية والإسلام مع اعترافهما بالديانة اليهودية فقد كانتا ثورة عليها، وعلى نظرتها الضيقة لعلاقة الإنسان بالكائن الأعظم، وعلى معالجة القضايا الاجتماعية، كانتا ثورة على تلك النواميس التي لا علاقة لها بالروح ولا بفضائل النفس بقدر مالها علاقة بأفعال الجسد. وتقع هذه المعتقدات في مجلدين كبيرين أولهما يسمى «التوراة» أو العهد القديم كما يسميه المسيحيون و«الكتاب» كما يدعوه اليهود، وثانيهما «التلمود».

أ ـ التلمود:

يطلق اسم «التلمود» على مجموعة الشرائع والطقوس والمعتقدات التي ظهرت بعد عصر التوراة تعليقاً عليها وشرحاً لها. وهناك تلمودان لا تلموداً واحداً، الأول يدعى: «الأورشليمي» والثاني يدعى «البابلي». ويظهر من هذين الاسمين، أن الأول انتشر بين اليهود في أورشليم والثاني انتشر بين اليهود «بعد السبي» في ما بين النهرين.

ولا يعرف بوجه الدقة تاريخ البدء بكتابة هاتين المجموعتين، ولكن المؤكد أن «التلمود البابلي» يبين بوضوح معتقدات اليهود وطقوسهم وتقاليدهم.

ويستند التلمود إلى ما جاء في التوراة من أن موسى أخذ الشريعة مكتوبة بإصبع الله على لوح حجري، كما أخذ الوصايا والقوانين شفاها، هذه الشرائع والوصايا يجب على شعبه اتباعها لكي يتسلط على باقي الشعوب.

وبعد أن أتم موسى كل ذلك جميع شيوخ إسرائيل، وعددهم سبعون شيخاً، وأعطاهم ما أوحي إليه به، فنقل الشيوخ هذه التعاليم إلى أفراد الشعب، ونقلها هؤلاء إلى أولادهم وتناقلتها الأجيال بعدهم انظر (سفر الخروج، الإصحاح 24، وسفر العدد، والإصحاح 11).

هذا ما اعتمده شيوخ اليهود في كتابة أقسام التلمود، بعد أن خافوا على شعبهم أن يفقد وحدته ومميزاته بين الشعوب التي حل بينها. ولكن السؤال الذي يرد في هذا الموضوع، هو كيف وصلت الشريعة اليهودية إلى ما هي عليه الآن؟

التاريخ يحدثنا أن الشعب اليهودي بقي في طور ابتدائي حتى زمن السبي ولم تكن معتقداته وشرائعه وتقاليده أيام مملكة «سليمان وداود» وما قبلهما تشكل هذا الخطر، لأنها لم تكن قد دونت، وما أن رأى معلمو الدين اليهودي أن اليهود بدأوا يختلطون بالمجتمعات الأخرى، حتى جمعوا قواعد دينهم في وثائق لتبقى سليمة من التعديل والتبديل، وظهرت «التوراة» الكتاب الديني اليهودي المعروف. وقبل قرنين من ظهور المسيحية كانت جماعة «السوفيريم» - «الكتبة» - تتوارث كتابة الشريعة، ثم قامت مؤسسة الشيوخ الذين جربوا أن يفلسفوا اليهودية، لتتمكن من الوقوف أمام تيار الحضارة الهلنستية المنتشرة في سورية.

في أوائل القرن الأول قبل المسيح ظهرت الأحزاب اليهودية المختلفة من فريسيين وصدوقيين.

الفريسيون وهم الحزب الأقوى، كانوا يتمسكون بحرفية نصوص الشريعة المكتوبة، واعتقدوا بالحساب بعد الموت والآخرة والجنة والنار، وآمنوا بحرارة بمجيء المسيح المخلص الذي سيتوج على اليهود وبالتالي على العالم أجمع. هذا من الوجهة الدينية، أما من الوجهة الاجتماعية

فكان الفريسيون يمثلون الطبقة المتوسطة في الشعب اليهودي، وقد ازداد نفوذهم الاجتماعي والسياسي حتى تمكّنوا من القضاء على الصدوقيين.

أما الصدوقيون فكانوا الطبقة الأرستقراطية من الشعب اليهودي التي آمنت بالشريعة المكتوبة ولكنها رفضت الاعتراف بما نقل شفاها، وأنكروا الحياة بعد الموت، والقيامة والحشر ووجود الملائكة والشياطين، ولم يؤمنوا بالمسيح المنتظر.

قوي نفوذ الصدوقيين خاصة في العصر «المكابي» ثم تضاءل شأنهم بعد الفتح الروماني، وتمكن الفريسيون بدهائهم أن يجعلوهم في المركز الثاني، إلى أن قضي عليهم نهائياً في عهد «هادريان».

ومن مشاهير اليهود في أوائل العصر المسيحي، المؤرخ «يوسيفوس» الذي اشترك في الثورة اليهودية الأولى ضد الرومان واعتصم في أحد الحصون ولكنه استسلم بعد أن منحه الرومان الأمان على حياته. بينما اعتبره اليهود خائناً، وقد كتب هذا المؤرخ تاريخ «التوارة اليهودية» و«الحروب اليهودية» وبرّر فيها موقفه.

ـ كان «هيكل سليمان» المركز الديني والقومي للشعب اليهودي، يرون فيه مظهراً لوحدتهم ونقطة إشعاع ديني تنطلق منه المعتقدات اليهودية فيقبلها الشعب اليهودي مسلِّماً بها كمعطيات لا تقبل البحث. لذلك كان هدم الهيكل حَدَثاً مهمّا كاد يقضي على اليهود، وعلى الإيمان باليهودية، هذا الإيمان الذي جمع فيما بينهم وصيّرهم شعباً غير قابل للامتزاج، ولكن معلّمي اليهود لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل قدموا للشعب، لوناً جديداً من الإيمان.

ويروي التاريخ أن «حنان بن زكّائي» تمكن من الإفلات من الحصار الذي ضربه «تيطس» القائد الروماني على الهيكل، وحصل على إذن من

الرومان بافتتاح مدرسة دينية يهودية في «جينة» (مكان النبي «روبين» جنوبي يافا) بدأت تدعو إلى أن اليهود، وإن فقدوا هيكلهم، فإن هيكلهم الرمزي هو التوراة، وأنهم إن ضيّعوا وطنهم الأرضي فإن لهم من معتقدهم الديني وطناً رمزياً يجب أن يحافظوا عليه إلى أن يحين وقت رجوعهم إلى الأرض التي وعدهم «يهوه» بها.

هذا المعتقد يقي قائماً حتى «ثورة بركوكبة» التي ذبح الرومان بنتيجتها وأسروا آلاف اليهود.

ولكن تضاؤل عدد اليهود في فلسطين وانتقال مركز الثقل اليهودي إلى خارجها، جعل دوام هذه المؤسسات الدينية وتأثيرها أمراً مستحيلاً، أما اليهود المسبيّون إلى ما بين النهرين فقد بقوا محتفظين بمعتقداتهم، وشكّلون أكبر متحد يهودي، وكثيراً ما كانوا يفدون إلى فلسطين يتعلمون أصول الديانة اليهودية، وما لبثوا أن أسسوا مدارس على غرار مدارسهم القديمة، ودعي معلمو ذلك العصر باسم «أمورابيم».

لقد دوّنت دراسة هؤلاء «الأمورابيم» في كتاب يدعى «مدراش» أي الدراسة والتفسير ثم جمعت في كتاب آخر يدعى «جمارة» وتؤلف هاتان المجموعتان مع مجموعة ثالثة هي «شفاه» التلمود المعروف «بالبابلي».

في عام 400 ق.م لم تعد فلسطين مركزاً روحياً أو ثقافياً لليهود، وذلك لعوامل أهمها:

1 ـ تضاؤل عدد اليهود في فلسطين بسبب النفي والتشريد والحروب.

2 ـ هجرة الكثير منهم تحت دوافع اقتصادية.

3 ـ انتشار المسيحية في سورية وما رافقه من ضغط على مؤسساتهم الدينية ومن انعدام تأثيرها.

فسرعان ما انتقل النفوذ اليهودي إلى ما بين النهرين، ولكن الحال لم تطل، لأن الفتح الإسلامي قد سحقه. ولم يلجأ الخلفاء إلى طرد اليهود بل أخضعوهم للجزية رغم إيذائهم الرسول ومؤامراتهم المتواترة على الدعوة الجديدة.

هذا هو بالاختصار تاريخ التلمود المبني جميعه على فكرة واحدة تعبّر عنها التوراة، لا يغير من جوهرها، بل يزيدها ترسيخاً.

أمثلة على ما أورده التلمود:

التلمود مركّب عجيب لآراء متناقضة من أمثال وأحكام. يختلف أحياناً مع التوراة، فهو يعتبر الذين يؤمنون بما جاء في التوراة بشأن ذنوب «أبناء روبين» وأبناء «ايلي»، و«أبناء صموئيل» Sons of Reubin, of Eli, and of Samouel أنهم على خطأ. وهو يبيح الربا، وتقديم الأطفال قرباناً للإله «مولوخ» Moloch رغم تحريم التوراة ذلك. كما يبيح الغش، ويعلّله بما جاء في التوراة: «مع الطاهر ستكون طاهراً، ومع المتمرّد النجس ستكون كذلك» (2sam, xxii, 27) والحاخامات يعلّمون شعبهم كراهية المسيحيين والأجانب، وبدلاً من أن يقولوا: «إذا كانوا في حضرة ملك مسيحي» يقولون: «في حضرة كلب K» وأي يهودي يشهد ضد يهودي آخر، يُلْعَنْ ويُسَب علانية، واليهودي يتحرّر من أي يمين يقسمها مع الأجنبي، ولايجوز له إنقاذ أرواح الأجانب في مواسم الأمراض، وزواج الأجانب ليس بزواج، ولحم جزّاريهم ليس إلا جيفة، ولا يجوز دعوتهم إلى داخل البيوت اليهودية، ولا ينبغي رد الأشياء التي يفقدها الأجانب، وإذا نطح ثور اليهودي ثورالأجنبي، لا يلتزم اليهودي بشيء، ولكن إذا نطح ثور الأجنبي ثور اليهودي، وجب على الأجنبي دفع التعويض عن الضرر الذي أصاب ثور اليهودي. ويقال عن أحد

حاخامات إنه باع بعض الأشجار لأحد الأجانب، ثم أمر خادمه بأن يقطع بعض أغصانها قائلاً: «إن الأجنبي يعرف عدد الأشجار، ولكنه لا يعرف ضخامتها وعدد أغصانها». فما أصدق ما قاله الدكتور «جوزيف باركلي» عن التلمود:

«بعض أقوال التلمود مغالٍ فيه وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكّل في صورتها «البسيطة» أثراً غير عادي للجهد الإنساني، وللعقل الإنساني، وللحماقة الإنسانية».

والقرآن في آياته يقول:

«فيما نقضُهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرّفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به». «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. «أفتؤمنون ببعض الكتب، وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما تعملون».

ب ـ التوراة:

يقسم اليهود كتبهم المقدسة إلى ثلاثة أقسام:

(1) ـ التوراة: وتحتوي على الكتب الخمسة التي يدّعون أن موسى كتبها بعد أن أملاها الله عليه، وهذه الكتب هي أسفار «التكوين»، و«الخروج»، و«اللاويين»، و«العدد»، و«التثنية»، وفي هذه الكتب نجد أسطورة بني إسرائيل منذ «التكوين» حتى خروجهم من أرض مصر وتيههم في صحراء سيناء، كما تضم مجموعة الشرائع والطقوس التي اعتبرها اليهود مميزة لشعبهم، وهي تمثل بالفعل نظرة الشعب اليهودي وطرائق تفكيره.

(2) ـ الأنبياء: وهي مجموعة الأسفار التي تتابع رواية اليهود بصورة متقطعة وبعض النبوءات الغامضة عن مستقبلهم، وتقع هذه المجموعة في ثمانية كتب تقسم إلى قسمين:

آ ـ الأنبياء الأول ويحتوي على أسفار يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك.

ب ـ الأنبياء الآخرون: ويحتوي على أسفار «أشعيا» و«آرميا»، و«حزقيال» و«الأنبياء الصغار».

(3) الكتابات: وهي مجموعة من كتب الأدب التي يقدسها اليهود وتضم أحد عشر كتاباً وتقع في ثلاثة اقسام:

آ ـ «كتب الأسفار» وهي أسفار «المزامير» و«الأمثال» و«أيوب».

ب ـ «المجلدات الخمسة» وهي: «نشيد الأنشاد»، «راعوث والمراثي»، «الجامعة»، «أستير».

جـ ـ الكتب الباقية وهي أسفار «دانيال»، و«عزرا»، و«نحميا»، و«أخبار الأيام».

إن كتب الأنبياء لا تحتوي على شيء من الشرائع والطقوس، فهي لا تخرج عن تقريع اليهود لعصيانهم شريعتهم وخروجهم على ممارسة طقوسها والإبقاء على تقاليدها حرصاً على وحدتهم من الضياع أمام تيارات الثقافات الحضارية الأخرى.

هذه هي الفكرة السائدة في أسفار «أشعيا» و «آرميا» وغيرهم من الانبياء، ولا ينكر أن هؤلاء الأنبياء قد اتجهوا اتجاهاً جديداً، نوعاً ما، في فهم علاقة الله بالإنسان ولكنهم لم يحيدوا أبداً عن اعتبار ذلك الإنسان «يهودياً» والإله «يهوه» إله اليهود، أي أنهم لم يتحرروا من نفسيتهم الاحتكارية الانعزالية.

أما نبوءاتهم فلم تخرج عن الوعيد والتهديد، وتوقع المصائب والكوارث على «إسرائيل» لعدم تمسكه بشرائع ربّه، ووعد في المستقبل بلمِّ شتات اليهود والرجوع بهم إلى أرضهم التي صُنعت خصيصاً لهم، وخلقوا خصيصاً لها، فتشاد لهم دولة يمتدُّ سلطانها من الفرات إلى النيل.

وعلى أية حال، لابد لدارس التوراة المدقّق من أن يلاحظ تغيّر أسلوب الكتابة، حتى وتغير بعض الألفاظ التي تدل على معنى واحد، مما يدل على أن كاتبها لم يكن واحداً بل كتّاباً من عصور مختلفة، ثم أضيف إلى هذه الكتابات شروح وتفاسير، ودخلها بعض التحريف والتغيير في النصوص.

فقد استمرت كلمة «يهوه» كاسم للإله المعبود ثم استعملت كلمة «ألوهيم» للدلالة عليه كما أن اسم «أدونيم» جاء أيضاً في بعض مواقع التوراة دالاً على الإله أيضاً. ولا يعني هذا أن الاختلاف سطحي، فلو تعمقنا لرأيناه اختلافاً جوهرياً في النظرة إلى الله، وفي فلسفة علاقة الخالق بالمخلوق.

لم يفتح باب نقد التوراة ومعرفة أصولها إلا بعد صدور «التوراة البروتستانتية» وبعد أن أعلن «لوثيروس» أن سفر «أخبار الأيام» يتضمن أحداثاً لا يمكن الركون إلى صحتها، وبعد أن نفى «كارلشتات» كون موسى هو كاتب «سفر التثنية» طالما أنه يذكر فيه موته ودفنه، وبعد أن أشار الفيلسوف «سبينوزا» اليهودي الأصل إلى الخلط الذي تضمنته التوراة بين القصص التاريخية وبين الشرائع والقوانين والطقوس، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الكتابات متنوعة المصادر، وإلا بعد أن نشر الكاتب الفرنسي «جاك استريك» كتاباً سنة 1753 بيّن فيه أن التوراة تعتمد على مصدرين أساسيين

أحدهما المصدر الذي استعمل اسم «يهوه» والآخر «ألوهيم» لله.

وهكذا بدأت حملة امتدت خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر لدراسة التوراة ونقدها ليس ككتاب إلهي ولكن كسفر عادي، فتبين أن «سفر الجامعة» المنسوب إلى «سليمان» لم يكتب حتى نهاية الحكم الفارسي حوالي سنة 538 ق.م وأن «نشيد الأنشاد» لم يكتبه سليمان، وأن «سفر دانيال» لم يكتب حتى ما بعد السبي، وتبين أيضاً أن سفر «التكوين» اعتمد على النظام الكوني الكلداني والبابلي، وأن الوحدانية لم تكن نتاج العقل اليهودي، بقدر ما كانت إبداع العقل السوري في ما بين النهرين، وأن الشريعة اليهودية إن هي إلا نقل عن شريعة «حمورابي» وشريعة «أشنونا».

الله والتوحيد في التوراة: «الله» أو «يهوه» أو «الوهيم» أو «الرب» كائن له كثير من الصفات البشرية، بل إنه خلق الإنسان على صورته ومثاله، فهو يمشي، ويتكلم، ويغضب، ويخيط الثياب لآدم وحواء، ويعلم آدم الكلام.

ومن يدقق في سفر التكوين يجد المتناقضات في «يهوه» والصفات المعزوة إليه، حتى أن كثيراً من البشر يترفع عن الالتصاق بها.

خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام وكان لا بد له أن «يستريح» في اليوم السابع و«يتنفس» (خروج 31: 17) وهذا منتهى القدرة في عرف الإنسان البسيط، وخلق الله كل شيء حسنا ولكنه مع ذلك خلق الحية الشريرة وأوجد عداوة بينها وبين المرأة لا لسبب ظاهر، وخلق شجرة تغري الإنسان بثمرها لكي تكون فخاً يصطاده به، وعندما سقط الإنسان في الفخ «ندم الله على خلقه» (تكوين 1 و 2 و3). وقد «خاف الله أن يصبح الإنسان إلها» (تكوين 3: 22) فطرده من الجنة

وحكم عليه وعلى نسله بالموت والعذاب و«هكذا ندم الرب لأنه خلق الإنسان» ولكن بما أنه يعرف الغيب فكان يجب أن يعلم أن مخلوقه سيقع في الشراك التي نصبها له.

ويضيق بنا المجال إذا جئنا نعدد التناقضات اللامنطقية والتمويهات التي يئن لها الفكر متوجعاً، متململاً ولايستطيع إلا الثورة عليها، ولا يقوى إلا على البوح بها.

«الله» في عرف اليهود إنسان عادي يغضب، فيقول لموسى: «اتركني حتى يحمي غضبي عليهم فأبيدهم» (خروج 10:33) عدا كونه «يتكلم» و«يمشي» و«يأمر بالقتل» (خروج 12:34) ويحابي ويتخذ له شعباً اختاره دون الشعوب التي هو مسؤول عنها لأنه خلقها.

أما التوحيد الذي يعتز به اليهود، فيمكن نقضه بنصوص وردت في التوراة نفسها على لسان إلههم «يهوه»، فقد جاء في أولى الوصايا العشر «أنا هو الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. لأني إله غيور». ويتضح من ذلك أن الوحدانية ليست شاملة مطلقة بل وصية لليهود ألا يعبدوا غير «يهوه» الذي هو إلههم الخاص لأنهم أفضل الشعوب، ولأنه أفضل الآلهة.

وعندما أكل آدم التفاحة قال الرب صار الإنسان «كواحد منا» ولم يقل صار الإنسان مثلي (تكوين: 3: 22).

أو كما جاء في المزامير: «الله قائم في مجمع الآلهة يقضي» مزامير (1:22) وجاء أيضاً: «لامثل لك يارب بين الآلهة (مزمور 83) «والرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب». والواقع أن الفرق بين الإله «يهوه» وبين أي من البشر لم يكن فرقاً روحياً أو أخلاقياً بل فرقاً طقسياً من

حيث الرتبة الطقسية. أما أنه لا يختلف عن البشر روحياً فلأنه محدود القدرة، يتعب ويندم، ويتقيد بالوقت والمكان، يمشي، ويتكلم، يسر لرائحة الذبائح، ولا يختلف عنهم أخلاقياً، لأنه يعامل الناس كما يعاملونه (أمثال 43:3) ولأنه يعلم شعبه أن يسرق (خروج 22:3) ويساعدهم على ذلك (خروج 36:12) ويعلمهم القتل (تثنية 7: 1 - 3) ولأنه يبطش بالناس (خروج 19 - 22) ولأنه لاتحدث بلية بمدينة إلا ويكون هو صانعها (عاموس 3 - 6).

فكرة الشعب المختار في التوراة: فكرة «الشعب المختار» هي المحور الذي تدور عليه أكثر تعاليمها، فلا يكاد يخلو فصل من ذكرها ولا يكاد نبي من أنبياء اليهود يظهر إلا ويوجه شعبه نحو هذه الفكرة.

ولا ينكر أن كل شعب من الشعوب، القديمة منها والحديثة، اتجه نحو فكرة الامتياز، ولكن هذا الامتياز لم يأخذ هذا الطابع الديني الحاد، لأن تفاعل الشعوب واحتكاكها وتمازجها أدى إلى ترك فكرة التعصب للعنصر نحو فكرة الولاء للمجتمع.

وإذا كان الامتياز العنصري عند غالبية الشعوب مبنياً على صفاء الدم أو على اللغة، فإن هذا الاعتقاد عند اليهود مبني على «اختيار الله» لهم، واصطفائهم من باقي الشعوب، أي أن الامتياز العنصري عند اليهود ليس قائماً على اعتبارات منطقية أو أخلاقية، إنه قائم على اختيار إلهي، جرى في أحوال لا تخضع لمعرفة البشر ولا يمكن لهم مناقشتها، ولذلك «فإن الرب لم يعط الأرض لإسرائيل لأجل برّ إسرائيل» بل لأنه قطع عهداً مع آباء إسرائيل». (تثنية 9: 1 - 6). لذلك نستطيع أن نستنتج أن الدين اليهودي لم يكن ديناً عالمياً غايته الوصول لمعرفة الخالق، بل كان ومازال دين جماعة مخصوصة متميزة.

لذلك صنف اليهود الناس إلى صنفين: اليهود والأمم، ثم قسموا الأمم إلى أقسام فبعضهم دعوا باسم «أمم الهيكل» وهؤلاء يسمح لهم بدخول الهيكل وممارسة الفروض الطقسية ولكنهم لا يشاركون إسرائيل وعد الله. «وأمم الباب» وهؤلاء لا يحق لهم أن يدخلوا الهيكل بل أن يقفوا في الدار الخارجية، وكانت تحرم عليهم الواجبات الطقسية. أما باقي الأمم فلم يكن يسمح لها حتى دخول باب السور الخارجي لئلا ينجسوه.

والظاهر أن أبناء إسرائيل قد استغلوا هذا «الاختيار الإلهي» الذي لا يقبل النقض، فتمادوا في الضلال، وعصوا أوامر الرب «وزاغوا عن الطريق التي رسمها لهم، ولكنه في كل مرة كان يصفح عنهم ويساعدهم. لذلك فقد «عادى الرب أعداء إسرائيل وضايق مضايقيهم» (خروج 23: 22) ومع أنه قال لموسى: «رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة، والآن اتركني حتى يحمي غضبي عليهم فأفنيهم» وأن موسى رجاه أن يعفو عنهم واستعطفه قائلاً: «ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك» «فإن الرب ندم على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه» (خروج 32 - 9 - 14) ثم يقول لإسرائيل: «وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد شعوب الأرض من أمامك فإني لا أصمد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق».

لقد أحاطت الشريعة اليهود بمعتقدات اعتبرتها مظهراً أساسياً من مظاهر تفوقهم وامتيازهم ودليلاً على»اختيار الرب لهم»، وأولها حفظ يوم السبت ووجوب عدم القيام بأي عمل أثناءه لأنه يخص الله، ولأنه علامة بينه وبين شعبه «فمن لايحفظه يقتل قتلاً» (خروج 31: 12 - 1) وقد روى في «سفر العدد» أن الإسرائيليين وجدوا رجلاً يحتطب يوم السبت فأتوا به إلى موسى فأشار الرب بشأنه عليه بالرجم حتى يموت، فنفذ فيه الحكم فوراً.

أما «الختان» فهو عهد آخر أوصى به الرب إبراهيم ونسله من بعده، وذلك بأن يختتن كل ذكر منهم في ثمانية الأيام من عمره، ويكون علامة أبدية. (تكوين 17: 19) وتروى التوراة من جملة ما ترويه، أن الرب التقى بموسى وكان معه امرأته وابنه الذي لم يكن قد ختنه، فأراد قتله لولا أن بادرت امرأته إلى ختن ولدها على الفور، «فانفك غضب الرب عن موسى» (خروج 4: 24) لذلك كان اليهود يعيّرون الأمم لعدم اختتانها ويعتبرونها نجسة.

وهناك جملة من الطقوس كالاغتسال، ولمس السامري، والميت والغريب، فقد اعتبرها اليهود مظهراً من مظاهر امتيازهم، ويبدو لي أن التشديد عليها واعتبارها إلهية يعود إلى جلافة اليهودي وتزمته. وهكذا قل عن الذبائح التي كانت تقدم تكفيراً عن الذنوب، فيظهر أن غرضها الأساسي كان إشباع الكهنة واللاويين من أبناء هرون.

ومن مظاهر الامتياز العنصري عند اليهود تحريم الزواج بأجنبية واعتباره خطيئة يستوجب الرجم (اللاويين 20 ـ 22) لئلا يفسد الدم النقي، وبينما كان من الجائز إقراض المال بالربا لغير اليهودي، فقد كان محرماً في معاملة اليهودي لليهودي، وعلى هذا الأساس لم يسمح للهيودي أن يستعبد يهودياً، بينما يسمح له أن يستعبد من يشاء من الأمم.

الكيان اليهودي قائم على ثالوث خصوصي: «إله خاص»، و«شعب خاص»، و«أرض خاصة».

ويزداد استهجاننا لهذه الشريعة إذا علمنا أن الدماء التي أراقها ولايزال يريقها اليهود في فلسطين لم تكن إلا بتشجيع وبوصية وحضٍّ من إلههم.

«تطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون

الأرض وتسكنون فيها، لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم» (عدد 33، 52، 53، 55، 56).

ثم يحذرهم أيضاً من محالفة جيرانهم: «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك». (خروج 34: 12) وعندما يأتون الأرض لكي يمتلكوها يوصيهم بأن «لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم، ولاتصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تؤخذ لابنك.. بل تهدمون وتقتلون إلخ.. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس في كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم بل لأنكم أقل من سائر الشعوب بل محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم». (تثنية 7: 8).

«وحين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح فإن إجابتك إلىالصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتقنيها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً والتي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (أي أن القانون الذي مر ذكره يطبق فقط على المدن الواقعة خارج مطامع اليهود الإقليمية) أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها

نسمة ما، بل تحرمها تحريماً.. كما أمرك الرب إلهك لكي لايعلموكم أن تعملوا حسب أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم» (تثنية 20: 10 - 18).

لقد غضب الرب على «شاول» لأنه عفا عن بعض الحيوانات لكي يقدمها ذبيحة للرب فخلعه عن عرشه ونصب «داود» مكانه، وعندما أحب «داود» امرأة أحد قواده «أوريا الحثي» لم يغضب منه الرب لدرجة خلعه عن عرشه. لقد علّمت التوراة أن الله رغم أنه خلق جميع الشعوب إلا أنه اصطفى إسرائيل ليكون هو السيد وتكون الأمم العبيد.

من هنا يمكن بوضوح فهم واستخلاص الفروق الجوهرية بين الدين اليهودي من جهة والدينين الجليلين المسيحية والإسلام من جهة أخرى، فمن ناحية النظر إلى «الإله الواحد» الذين هو في الدين اليهودي إله خاص لبني إسرائيل اختارهم من دون الشعوب، فإنه في المسيحية والإسلام إله العالمين في كل مكان زمان، فضلاً عن كونه إله حرب وتدمير وقتل بالنسبة لليهود، وإله سلام ومحبة ورحمة وخير وعدالة مطلقة بالنسبة للمسيحيين والمسلمين.

ولا غرو في ذلك فالديانة اليهودية في نظرتها إلى القيم الخيّرة تقصرها على بني إسرائيل، بينما في المسيحية والإسلام فتشمل جميع الأمم. ويخطئ من يقول إن اليهودية يمكن اعتبارها دينا إنسانياً عاماً بقدر ما هي دين جماعة معينة. ولايجوز من هذه الناحية وضعها على مستوى واحد مع المسيحية والإسلام.. (يرجع إلى الإسلام في رسالتيه: المسيحية والمحمدية لأنطون سعادة).

3 ـ الصهيونية نشوءاً وفكراً وممارسة:

آ ـ **نشأة الصهيونية:** نشأت الصهيونية على يد مؤسسها «تيودور

هرتزل» المولود في الثاني من أيار 1860 في «بودابست» عاصمة هنغاريا، وفي عام 1875 ارتحل مع عائلته إلى فيينا عاصمة النمسا حيث درس الحقوق، ثم احترف مهنة الصحافة وعمل على إصدار صحيفة News Free Press، وفي عام 1891 توجه إلى باريس ليصبح مراسلاً لها.

في عام 1894 ظهرت قضية الضابط اليهودي «دريفوس»، وهو ضابط يهودي في الجيش الفرنسي، اتهم بتهريب وثائق عسكرية سرية من هيئة الأركان العامة للجيش الفرنسي إلى ألمانيا، وأحدثت التهمة ضجة كبرى في فرنسا خاصة وأوروبا عامة، وعمل اليهود بكل ما أوتوا من وسائل علنية وسرية لإنقاذه. وحكم عليه بالرغم من كل هذه المساعي بالنفي المؤبد وبتجريده من رتبته العسكرية.

تصدى لنقد الحكم الكاتب الفرنسي الشهير «إميل زولا» بتأثير علاقته الغرامية مع الممثلة اليهودية الفرنسية «سارة برنار» وبدأ ينشر مقالاته النقدية في صحيفة «الأورور» الفرنسية بعنوان «إني أتهم»، وكان لهذه المقالات وقعها الكبير في الرأي العام الفرنسي، حتى أن المحاكم الفرنسية حكمت عليه بالسجن سنة واحدة وبغرامة نقدية، فهرب إلى إنكلترا ولم يعد لفرنسا إلا عام 1889، عندما اضطرت المحاكم إلى إعادة محاكمة «دريفوس» واستبدال حكم النفي بالسجن عشر سنوات، إلا أن اليهود لم يهدأ لهم بال حتى نجحوا بإبطال الحكم وتبرئته وإعادته إلى الجيش الفرنسي.

خلفت هذه الحادثة أثراً كبيراً في نفس «تيودور هرتزل» فاصدر عام 1896 كتابه المعروف «الدولة اليهودية» الذي يعد المصدر الفكري للصهيونية.

ب ـ **الفكر الصهيوني**: تشتق كلمة «الصهيونية» من «تلة صهيون»

التي يزعم اليهود أنها المكان الذي بنى عليه «سليمان» الهيكل اليهودي في «أورشليم ـ القدس»، مع أن «صهيون» عبارة كنعانية تعني «المشمش الجاف».. إذ تتكرر هذه التسمية في مناطق مختلفة من الجمهورية السورية، فهناك «قرية صهيون» قرب بلدة «صافيتا»، و«قلعة صهيون» قرب مدينة «اللاذقية».

وفي النصف الثاني للقرن التاسع عشر ظهرت الصهيونية بشكلها الحديث، وبشر بها في غرب أوروبا «هرتزل» و«موسى هس» وفي شرقها «هرش كالشر» و«ليوبنسكر» الذي كان يرمي إلى تأسيس مستعمرات في فلسطين، وأنشأ لهذا الغرض جمعية تدعى «جمعية محبي صهيون» وتتلخص نظريته التي عرضها كما يلي: «ليس اليهود طائفة دينية فحسب إنما هم «أمة»، ولهذا فإن تحريرهم المدني والسياسي لا يكفيان لرفعهم في أعين الشعوب، والعلاج لذلك واحد: خلق «قومية» يهودية وإعطاء اليهود بلاداً يمكن اعتبارها ملكاً خاصاً لهم ليأمنوا فيها خطر الطرد، وإلى مثل هذه البلاد يريد أن يجلب بنو إسرائيل أقدس الثروات التي أنقذوها من أرض أجدادهم».

«يجب على اليهود أن يتعلقوا بالمكان الذي زالت منه حياتهم السياسية بعنف «ويقصد فلسطين..» وهو سبيلهم الوحيد إلى «التحرر الذاتي» Auto Emancipation أما «هرتزل» فقد رأى «أن فكرة إنشاء مستعمرات يهودية في «الأرجنتين» وفي «فلسطين» لا تحل المشكلة اليهودية..» الحل يكون بإقامة «الدولة اليهودية» في أرض الأجداد لأن بها يأمن اليهود خطر الطرد ويتم إنقاذ ملايين المضطهدين في أنحاء العالم. وتحقيقاً لهذه الغاية لابد أن ينتظم اليهود في منظمات محلية وإنترناسيونية تعمل على شحذ شعورهم القومي أينما كانوا.

وهكذا وبدءاً من عام 1897 أخذ اليهود في عقد المؤتمرات تبعاً

للظروف التي يمرون بها أو محاولة منهم لتنفيذ عمل ما.. علماً أن المؤتمر الأول عقد برئاسة «تيودور هرتزل» وبذل النشاط للحصول على موافقة الحكومات للوصول إلى أغراض الصهيونية.

ج ـ **الممارسات الصهيونية:** وصولاً لتحقيق الهدف، الذي اعتبره مرحلياً، وهو إقامة «دولة إسرائيل» على أرض فلسطين، بلوغاً للغاية الأخيرة التي يحلم بها كل يهودي، وهي امتداد هذه الدولةk لتكون حدودها، كما أعلنتها التوراة، من الفرات إلى النيل، سلكت الصهيونية السبل الآتية:

1 ـ إيجاد «قضية» يجمع عليها اليهود في شتى أنحاء العالم، وهي «القضية الصهيونية» تزعم بأن اليهود حيثما يكونون ويقيمون ينتمون إلى «أمة» واحدة متميزة هي «الأمة اليهودية» تستمد أصولها وتستوحي إيديولوجيتها من تراثها الديني القائم على ثلاثة معتقدات أساسية كما أسلفنا:

ـ الأول: «إله مختار» هو إله الآلهة ورب الأرباب.

ـ الثاني: «شعب مختار» متفوق على جميع الشعوب.

ـ الثالث: «أرض مختارة» خصهم بها إلههم «يهوه» هي أرض كنعان.

2 ـ الاعتماد على الدولة التي ترى الصهيونية أنها الأقدر على تحقيق مشاريعها، ومن هنا كان اعتمادها على ألمانيا غليوم صديقة الدولة العثمانية التي كانت فلسطين جزءاً من أراضيها، ومن ثم انحيازها لانكلترا ودول التحالف أثناء الحرب العالمية الأولى، عندما أنست فيهم القوة لهزيمة ألمانيا فنالت منهم، معاهدة سايكس ـ بيكو عام 1916 التي جزأت الأرض السورية إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، وجعلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم على

«وعد بلفور» في 20 نوفمبر 1917 لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، ثم مع فرنسا للتزود بالأسلحة المتطورة وبعد ذلك مع دول شرق أوربة لتزويدها بالعنصر البشري، وأخيراً على الولايات المتحدة الأميركية للحصول على الدعم العسكري والسياسي والمالي والبشري.

3 ـ السيطرة على الاقتصاد والمال في دول عظمى مثل الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي حالياً، وابتزاز المساعدات المالية من دول مثل ألمانيا كتعويضات على الإرهاب النازي لليهود، وأخيراً من البنوك السويسرية كتعويض على إيداعات زعم اليهود أنهم أودعوها فيها، أثناء خروجهم واضطهاد النازيين لهم.

4 ـ السيطرة على الإعلام والإعلان والسينما: خدمة لأغراضها وتأييداً ودعماً لمخططاتها السياسية والاقتصادية.

5 ـ السيطرة على المؤسسات والمنظمات الثقافية والدولية، كمنظمة الأمم المتحدة، والبنك الدولي واليونسكو واليونسيف وسواها، حيث معظم الموظفين من اليهود.

6 ـ التعاون على أوسع نطاق مع المخابرات الأميركية: CIA والإنكليزية وسواها خدمة لأغراضها وتحقيقاً لمشاريعها الاستراتيجية والاقتصادية.

7 ـ العمل على استدراج الحكام وإغوائهم وإغرائهم بسحر المال والنساء و«الشعب المختار» أصيل في هذا الفن، مما يجعل هؤلاء أدوات طيعة بين أيديهم.

8 ـ استخدام «الماسونية» والعمل من وراء الستار على بلوغ أغراضهم السياسية عن طريق «الديمقراطية الليبرالية» التي سمحت ولا تزال

تسمح للعديد منهم، تحت ستار التمثيل البرلماني من التغلغل في الأوساط السياسية والتوجيه السياسي لكبريات الدول، حتى الماركسية الشيوعية والاشتراكية الدولية كان لهم فيها الدور القائد.

9 ـ امتلاك الأسلحة الذرية والكيميائية والبيولوجية والأسلحة الأخرى المحرمة دولياً.

10 ـ «استغلال اللاسامية» كظاهرة عداء لليهود، بدأت عند الشعوب التي استشعرت الخطر اليهودي، هذا الخطر الذي داهم اقتصادها وسياستها وحياتها الاجتماعية.

لقد سرت موجة اللاسامية عام 1880، ومن الذين بشروا بها في فرنسا «أرنست رينان» وقويت بسبب إفلاس شركة باناما التي أسسها «دوليسبس»، وبلغت أوجها عام 1882، عندما اجتاحت الجماهير الناقمة أحياء اليهود وأحرقوا بيوتهم وخربوا متاجرهم، فهاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة الأميركية 281150 يهودياً ومن رومانيا 670570 وأعداد أخرى إلى إنكلترا وجنوب إفريقيا.

وعوضاً عن أن يعمد اليهود إلى تغيير سلوكهم، فقد استمروا في الاستعلاء على الآخرين والإعلان على الملأ أنهم «شعب مختار» يؤلف عرقاً متميزاً له خصائصه ومطامحه القومية.. وإذا ما حدث وحاولت ولو التحدث عن هذا السلوك المجافي للأخلاق والقيم الإنسانية، فأنت متهم «باللاسامية» وأنت مدان ومحكوم عليك بأقسى العقوبات وأغلظها.. بمعنى أن «اللاسامية» سلاح يهودي، يشهرونه على كل من يحاول أن يقف في وجه أطماعهم ودسائسهم وسياستهم التوسعية.

استعرضنا الآن الممارسات الصهيونية على المستوى الدولي وهي، كما الممارسات التي سنستعرضها على المستوى الوطن المحتل ومحيطه

القومي، نوردها على سبيل المثال لا الحصر، لأنها ولكثرتها لا يمكن ويعجز العقل عن الإحاطة بها، وهذا بعض منها:

1 - احتلال الأرض والتوسع بها وحرمان السكان الأصليين، الفلسطينيين، منها وبناء المستعمرات عليها، مؤخراً إقامة جدار الفصل العنصري.

2 - تضييق فرص العمل على الفلسطينيين كما وفرص التعليم.

3 - السعي الدائم لتشجيع الهجرة اليهودية من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين بحيث أصبح عدد سكان دولة إسرائيل خمسة ملايين ونصف، و«الحبل على الجرار».

4 - إحداث تغيير ديموغرافي وتغيير الطابع القومي والتركيب السكاني لفلسطين عن طريق التهجير القسري وبناء المستعمرات اليهودية ومصادرة الأراضي بحجج مختلفة. فضلاً عن اتباع سياسة الأرض المحروقة بتدمير البيوت وقتل الفلسطينيين وتجريف الأراضي الزراعية وسوى ذلك من الأعمال الإجرامية.

5 - الإلحاق والضم بحجة حماية أمن «إسرائيل» وهي الحجة نفسها التي كانت تتذرع بها ألمانيا النازية مع تغيير الاسم فقط بـ «المجال الحيوي» للاستيلاء على دول أوربا.

6 - إقدام «إسرائيل» على ضم مدينة «القدس» واعتبارها عاصمة أبدية لها عام 1980 وضم مرتفعات الجولان السورية وإلحاقها بها منذ عام 1981، واحتلال شريط أمني في جنوب لبنان تقدّر مساحته بألف كم^2 لمدة تزيد عن اثنين وعشرين عاماً غير عابئة بقرارات الهيئات الدولية، ومن ثم إخلائه والانسحاب منه تحت وطأة المقاومة التي استطاعت، ولأول مرة في تاريخ المنطقة، أن تقهر قوى الاغتصاب والقهر الاسرائيلية.

هذه هي الصورة المصغرة التي حاولت جاهداً أن أنقلها بأمانة، وهي صورة على قتامتها، لا تترك لنا سوى بصيص من أمل، نعقده على شعبنا العظيم، فنعاهد أنفسنا أن نبقى أوفياء لأمتنا وتاريخنا وحضارتنا، وأن نعلم أطفالنا ونربيهم على الفضائل القومية ونعرفهم بحقيقتهم وأرضهم التي اغتصبها عدونا القومي.. فالحقوق القومية لا تضيع إذا وجد من يطالب بها ويحافظ عليها ويصارع من أجلها، «فليس أقوى من حق يعي حقيقة نفسه ويعمل له».

والآن لابد أن نتساءل، والحال على ما هو عليه، عما ستؤول إليه الأمور بعد أن أصبحت الجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية تواجهان وحدهما العدو «الإسرائيلي»، وعما سيكون عليه الوضع في المنطقة بعدما اصطلح على تسميته «بالسلام» الإسرائيلي تحت خيمة ومظلة الولايات المتحدة الأميركية.. خاصة أن أهداف الصهيونية هي هي لم تتراجع عنها اليهودية العالمية، ونرى من المفيد الإشارة إليها.

4 ـ أهداف الصهيونية التوراتية:

إذا كانت الصهيونية تعبيراً عن النفسية اليهودية والمرامي اليهودية، فأهدافها البعيدة ليست شيئاً آخر غير المواعيد التي نصت عليها ديانتهم، تلك المواعيد التي وعدهم بها إلههم «يهوه» وأفصح عنها على لسان أنبيائه في «التوراة» و«التلمود».

هدف الصهيونية البعيد هو إقامة «المملكة اليهودية» العالمية التي سيديرها «مسيحهم المنتظر» من نسل داود لأن «كل ما على الأرض ملك اليهود، فما تحت أيدي الأمميين مغتصب من اليهود» وعليهم استرداده بكل الوسائل كما يقول التلمود، أو كما تعلن التوراة «سيقوم الرب، ويقيس الأرض ويجعل عبدة الأوثان (الأمم) تحت يد إسرائيل..

ويسلّم جميع ممتلكاتهم لليهود».

«هللويا، غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة له في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه وليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه بالرقص، وليرنموا له بدف وعود، لأن الرب راض عن شعبه وهو يجمل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بالمجد وليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في أيديهم، كي ينزلوا نقمتهم بالأمم، وتأديباتهم بالشعوب ويأسروا ملوكهم بقيود وأشرافهم بأغلال من حديد، وينفذوا فيهم الحكم المكتوب، وهذا كرامة لجميع أتقيائه، هللويا» (المزامير 149).

هذا ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا، رغم ما حل بهم من كوارث ونزل بهم من نكبات يقرأون توراتهم وأقوال أنبيائهم، ويبكون مجد إسرائيل الضائع ويرتقبون عودته.. «ويكون ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر، ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض.. وينقضّون على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق معاً. ويكون على آدوم وموآب امتداد يدهما وبنو عمون في طاعتهما. ويبيد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بقوة ريحه ويضربه إلى سبع سواق ويجيز فيها بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه» (أشعيا: إصحاح 11 عدد 11)..

«ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس.. لأن قداسة اسم «يهوه» تفرض عليه وتلزمه بتحقيق المواعيد التي قطعها على نفسه، وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم» (حزقيال: 36: 22، 24)..

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك، لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك، وتتفتح أبوابك دائماً ليؤتى إليك بغنى الأمم وتعاد ملوكهم، لأن المملكة والأمة التي لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم» (أشعيا 60: 10، 11، 12).

.. «هكذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب أقيم رايتي، فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلمسون غبار رجليك» (أشعيا 49: 22).

«ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم».. «أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون» (أشعيا 61: 4 ـ 6).

لم يكتف «يهوه» بهذه الوعود الخلابة التي ينشرها على «شعبه المختار» بل يخطط لهم أرضاً تفيض «لبناً وعسلاً»، وتتسع لذراري إسرائيل التي تفوق رمال البحر عداً، ويعين لهم حدوداً جغرافية لا تقبل التعديل، فقد وعدهم في سفر التثنية (7:1) «بجبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر، أرض الكنعانيين ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات»، وهذا يعني سورية الطبيعية التي تضم فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسورية الوسطى والشرقية.. وفي مكان آخر يذكر حدود أرض إسرائيل بتفصيل أكثر فيقول: «أرض كنعان بتخومها تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب آدوم ويكون لكم تخم الجنوب من طرف البحر المالح (بحر الميت) إلى الشرق ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقربم يعبر إلى صنين وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع ويخرج إلى مصر دار ويعبر إلى غصمون، ثم يعبر التخم من عصمون إلى وادي مصر وتكون مخارجه عند البحر (فلسطين وحدود

منطقة النقب جنوباً). أما التخم الغربي فيكون البحر الكبير لكم تخماً (البحر المتوسط)، وهذا يكون لكم تخم الشمال من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماه وتكون مخارج التخم إلى صدد ثم يخرج التخم إلى زمزون وتكون مخارجه عند حصر عينات. وترسمون لكم تخماً إلى الشرق من مصر عينات إلى شذام وينحدر التخم من شقام إلى ربله شرقي عين ثم ينحدر التخم جانب بحر كناره إلى الشرق ثم ينحدر التخم إلى الأردن وتكون مخارجه عند البحر المالح» (عدد 34: 1 - 12).

يضم هذا التحديد جميع الأراضي السورية باستثناء قسم صغير من الساحل اللبناني وبعض أراضي شرق الأردن، إلا أن «يهوه» يعود فيعطي كل أراضي شرق الأردن إلى أسباط إسرائيل عندما كانوا تحت قيادة «يشوع بن نون» (سفر يشوع 13).

ولا حاجة أن تكون إسرائيل المستقبل محدودة بحدودها التاريخية كما أعلن «نبتويش» الصهيوني، ففي إمكانية المدنية اليهودية الامتداد إلى جميع البلاد الموعودة في التوراة، أو كما صرح «ولهلم ريبل» قائد منظمة «السير إلى فلسطين»، «إننا لا نعين الآن حدود إسرائيل، هذه الحدود تكون تلك التي نقدر على الوصول إليها»، أو كما صرح «وايزمن» أمام اللجنة الملكية في نوفمبر 1936: «لا يجوز أن يفهم وعد بلفور أنه يعني أن هجرة اليهود يجب أن تتقيد بعدد «العرب» في فلسطين ولا تزيد عليه.. إن القصد من إنشاء وطن قومي لليهود هو تمكين كل يهودي من العودة إلى فلسطين».. ولم تختلف حتى الساعة تصريحات زعماء «دولة إسرائيل» الجدد عن تصريحات زعماء الصهيونية الأوائل، كما لم تختلف تطلعاتهم ومراميهم ومعتقداتهم التوراتية عما كانت عليه.. فهل يصح السؤال، ومحاولات السلام المشبوه تجري في جميع الاتجاهات،

عما إذا كان الصهاينة تراجعوا عن أهدافهم وأطماعهم، وأقلعوا عن التطلع إلى السيطرة والامتداد إلى ما يحلمون الامتداد إليه والسيطرة عليه..؟!

ظهور المسيحية

ظهرت المسيحية في الجنوب السوري «فلسطين» حوالي العام السادس ق.م وتنسب إلى «المسيح» الذي قسم التاريخ إلى عصرين: ما قبل ميلاده وما بعده، ولم يحفل من عاصره من المؤرخين كثيراً به ولم يقدّروا ما سيكون عليه أثره وتأثيره في الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية.

مؤرخ شاب معاصر للمسيح اسمه JOSEPHUS خصّص لهذا «الرجل الحكيم» و«صانع الأعمال الخارقة» مقطعاً صغيراً من كتاباته تنتهي بهذه الملاحظة «وعشيرة المسيحيين التي سميت كذلك بالنسبة إليه، ليست منقرضة اليوم». (اعتبر بعض النقاد هذه الفقرة مدسوسة).

المؤرخ اللاتيني الوحيد الذي ذكر المسيح بالاسم CHRISTUS وبصورة عرضية، هو TACITUS وقال عنه: «بأنه تعرّض لعقوبة الموت في عهد «طيبيريوس» بموجب حكم «بيلاطس البنطي» وحصل هذا على الغالب في عام 27م[8].

أما تلاميذه والذين آمنوا به فقد كانوا جميعهم جليليين سوريين وليسوا يهوداً، باستثناء «يهوذا الاسخريوطي» الذي سلّمه لليهود فقد كان يهودياً، فلم يترددوا أن يبذلوا حياتهم في سبيل إيمانهم هذا. وتعدّ الأناجيل الأربعة: «متى ومرقس ولوقا ويوحنا» المصدر الرئيسي الأول لسيرة المسيح وتعاليمه.

«كانت منطقة الجليل بوضعه الذي نعرفه من الأناجيل من أعمال

(8) تاريخ سورية ص363 و364 الدكتور فيليب حتي.

«أرسطوبولس» تسكنها لمدة طويلة شعوب غير يهودية[9] وأصبح يسكنها «الإيتوريون» وهم من أصول عربية ولغتهم آرامية، وقد خيّر سكانها بين الطرد أو الختان» عن «يوسيفوس» ففضلت الأغلبية الختان ولذلك كان كثيرون من السكان الذين عمل بينهم المسيح واتخذ منهم أكثر تلاميذه من أصل غير يهودي، ويتكلمون اللغة العبرية برطانة، يشهد بذلك ماقاله الجمع لبطرس عندما أنكر معرفته بيسوع، وكان يحاكم أمام رئيس الكهنة اليهود: «إنك حقاً منهم، فلغتك تظهرك» (إنجيل متى: الإصحاح 26: 73 ـ 74)، كما كان ينظر إليهم بأنهم أدنى من اليهود القدماء وغير أهل لظهور نبي فيهم، الأناجيل الأربعة[10].

لقد بزغ فجر المسيحية بظهور يسوع الناصري وتعليمه الداعي إلى تحكيم العقل ولو خالف ذلك نص الشريعة بعد أن «أدى جمود الشرع عن طريق الدين، إلى جمود الفلسفة المناقبية، وبطُل مبدأ الفيلسوف السوري الكبير»زينون» القائل بأن الفكر أو العقل هو جوهر الحياة الإنسانية، فحدث في المجتمع السوري تصادم عنيف بين الفلسفة والشرع الموسوي الذي أخذ يقوى على عامل العقل بسبب قوة فكرة الله.. لأن هذه الفكرة أضعفت منزلة الحكمة البشرية وقوة العقل الإنساني تجاه حكمة الله وتدبيره، وهذا هو السبب في اتخاذ التعاليم المناقبية المسيحية الفكرة الدينية أساساً لها، فظهر المسيح بمظهر الموعود به من الله ليكون به الخلاص، وعلى هذا الاعتقاد استند المسيح ليؤدي رسالته المناقبية»[11].

من هنا قول المسيح: «لا تحكموا بحسب الظاهر، لكن احكموا حكماً عادلاً» وإن خالف نص الشريعة، من هنا أيضاً إبراؤه إنساناً يوم

(9) أشعيا 9:1 سفر المكابين الأول 5:15 إنجيل متى 4:15.

(10) المصدر السابق.

(11) الإسلام في رسالتيه ص26 و27 سعادة.

السبت المحرّم العمل فيه عند اليهود حسب شريعة موسى، وكذلك عفوه عن المرأة الزانية التي ينبغي أن ترجم حسب الناموس اليهودي، قائلاً لليهود الذين حاولوا أن يأخذوه بجريرة مخالفة الشريعة: «من كان منكم بلا خطيئة، فليبدأ ويرمها بحجر».

التعليم المسيحي[12]:

لا مراء أن المسيحية، كما يقول الدكتور فيليب حتي، مأثرة سورية، بل هي أعظم مآثرها على الإطلاق.. إنها المأثرة الثالثة التي أتت بها الحضارة السورية في سبيل تقدّم العالم.. وإلى السوريين يرجع الفضل في حملها والإيمان بها ونشر تعليمها وإعطائها بعدها المسكوني والتعريف بنظرتها المناقبية والفلسفية إلى العالم.

وفضلاً عما ذكرناه آنفاً من انتصارها للعقل وعدم الوقوف عند أحكام الشرع، فإن المسيحية علّمت ورسّخت قيم المحبة والفضيلة والمساواة والصدق والتسامح والغفران، وهو ما يبعدها عن اليهودية ويقرّبها من «الرواقية»، ويجعل من القول بأنها اشتقاق من اليهودية أو أنها امتداد لها أو أحد فروعها أو تطوير لها، قولاً تبطله وتنفيه وتدحضه أقوال السيد المسيح وأفعاله.

لقد بشّر المسيح بتعليمه بالقول حيناً وبالمثل أحياناً وبالقدوة في معظم الأحيان، مما أكسب تعليمه، هذا المستوى من التسامي والرفعة والتقديس.

ولا بأس من أن نسوق البعض من هذا التعليم تصديقاً لما نقول، ففي خطبة الجبل يسمو يسوع بالإنسان إلى مراقٍ ليس من اليسير بلوغها، فهو «يبارك المساكين بالروح والحزانى والودعاء والجياع والعطاش إلى البرّ

(12) عن إنجيلَيْ متى ولوقا.

والرحماء وأنقياء القلب وصانعي السلام... لأنهم أبناء الله يدعون».

وهو يتجاوز حدود الشرع الداعي إلى تحريم القتل، إلى تعليم مناقبي يجعل حتى من الغضب باطلاً على الآخر مستوجباً للحكم، وإهانة الآخر بنعته بالحماقة مستوجباً الإدانة.

وهو فضلاً عن ذلك لم يجعل الصلاة بذاتها سبيلاً للقربى من الله، ويشهد على ذلك قوله. التصالح مع الآخر ونفي الخصومة والوقيعة بين أفراد المجتمع وإشاعة المحبة بينهم هو السبيل الأجدى والأفضل. «فإن قدمت قربانك إلى المذبح وذكرت أن لأخيك عليك شيئاً، فدع قربانك أمام المذبح وامض أولاً فصالح أخاك، وحينئذ ائتِ وقدّم قربانك».

أما الزنى فلا يكون فقط بالتواصل الجنسي، بل أيضاً بالنظر والشهوة في القلب: «لقد سمعتم أنه قيل للأولين لا تزنِ، أما أنا فأقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه»، وهي دعوة إلى الترفع عن الشهوات الغريزية والاتجاه نحو المثل العليا الروحية والاشتراك في الحب لإقامة حياة زوجية نقية من المعصية، كما يشير إلى ذلك «سعادة» في كتابه «جنون الخلود».

وكذلك الدعوة إلى الصدق بالقول والعمل وعدم اللجوء إلى القسم بالله أو بالأرض أو بأورشليم.. بقوله «ليكن كلامكم نعم، نعم ولا. لا وما زاد على ذلك فمن الشرير».

أما الذين أساؤوا فهم وتدبّر تعليم يسوع بعدم مقاومة الشرّ بمثله «من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر، ومن أراد أن يقاسمك ثوبك، فاترك له رداءك أيضاً ومن طلب أن تسير معه ميلاً، فسر معه ميلين..» على أنه ضعف وذل ومسكنة، فقد ضلّوا ضلالاً بعيداً، لأنه أيسر على الإنسان أن يردّ الإساءة بمثلها بل بأكثر منها، ولكن أن يفلح في الانتصار

على نفسه ويحسن لمن أساء إليه ويتساهل مع من فعل الشرَّ معه، فإنه لأمر جدير بالاحترام والتقدير. ولا أجد أقرب إلى هذا التعليم من التعليم القرآني السمح: «ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».. ويمضي يسوع في تعليمه إلى الدعوة، ليس إلى محبّة القريب فقط بل إلى محبة الآخر حتى لو كان عدواً «أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم..».

ويضيق بنا المجال إذا حاولنا أن نحيط إحاطة كاملة بالتعليم اليسوعي وبالرسالة المناقبية التي أتى بها ليرفع الإنسان من حضيض العيش إلى رحاب الحياة الفاضلة.

ولا نجد أفضل من أن نختم مثالنا بالإشارة إلى ما بلغه هذا التعليم من عظمة ورفعة وتسامٍ من غفران السيد المسيح، وهو على خشبة الصليب، لجلاديه وصالبيه من اليهود فعلتهم الشنيعة وجريمتهم النكراء بقوله: «اغفر لهم يا أبت لأنهم لا يدركون ماذا يفعلون».. إنها ولا شك قمة المغفرة والتسامح والانتصار على الشر وفاعليه..

مما سبق قوله يستبين أن الدين بالمسيحية، غدا تعاليم مناقبية، وسلوكاً أخلاقياً وفلسفة حياتية تسمو بالإنسان إلى مرتبة التفوق النفسي، هو مالم تكن العقائد الدينية السابقة للمسيحية مؤهلة أو القيام به، وحدها الرواقية السورية[13] سارت في هذا الاتجاه، وإن لم تقل قول المسيحية بوجود إلهٍ فادٍ مخلص للبشر.

الرواقية stoicism: نسبة إلى الرواق stao الذي كان يجتمع فيه

(13) تطور الفكر السياسي ص215 - 226 وتاريخ الفكر السياسي ص46 - لجان توشار ورفاقه.

الفيلسوف «زينون» ومريدوه، وأهم ما تقول فيه هذه الفلسفية بأن كل شيء في الطبيعة خاضع للعقل الكلّي المنزه عن الخطأ، والقبول بمفاعيل القدر، ليس بالاستسلام له، بل بالصبر عليه وصلابة الإرادة بمواجهته وتحمّله..

أما الإنسان فهو بنظرها عضو في الجماعة الكونية أو ذات البعد الكوني وحاضرتها العالم، cosmopolis (مدينة العالم)، هذا ناهيك عن الدعوة إلى قيم منها الفضيلة والعزيمة والصبر والإخلاص في أداء الواجب والمساواة وعدم الاكتراث بالملذات الجسدية، والتسامح والإحسان إلى الآخرين والحرية، ليس كشكل بل كذات داخلية، فأنت حرّ لا سلطة عليك من أحد، عندما تنبع حريتك من داخلك، كما آمنوا بالله مدبراً للكون وبأن الناس أبناء الله، وهي بمجملها دعوة تقترب من المسيحية وتعاليمها كما نرى...

المسيحية تعليم سوري:

تتجلى سورية المسيحية في:

نشأتها: فلقد نشأت في سورية «في عصر كان قد مضى زمن طويل على إنشاء السوريين أعظم مدنية عرفها العالم، وهي المدنية التي قامت على قواعدها المدنية العصرية»[14].

رسولها: «لم يكن المسيح يهودياً ولم يكن له آباء يهود، وهو نفسه رفض أن يدعى «ابن داود»، فقال: كيف يقولون إن المسيح ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك، فإذا كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه. (لوقا 20: 41)

بهذا القول قطع المسيح كل سبيل لقيامه على أساس التقاليد اليهودية

(14) جنون الخلود الآثار الكاملة رقم (9) ص102 سعاده.

القائلة بأنه كان يهودياً من نسل داود، فهو ابن البيئة السورية وليس أدل على ذلك من أنه كان يخاطب الناس باللغة السريانية، هذا فضلاً عن أن الأناجيل الأربعة، مثلها مثل «رسائل بولس» لا تعرف يسوع بأنه كان يهودياً، بل جلّ ما في الأمر أنه ختن حسب شريعة موسى على ما يستفاد من إنجيل لوقا (2: 13، 24، 27)[15].

أن يكون المسيح قد خُتن، فهذا لا يشير إلى الكثير فكونه من ناصرة الجليل يجعلنا نتذكر أن منطقة الجليل كانت ـ كما ذكرنا آنفاً ـ تسكنها لمدة طويلة شعوب غير يهودية.. وقد خُيّر سكانها بين الطرد أو الختان. ففضلت الأكثرية الختان، ولذلك كان كثير من السكان الذين عمل بينهم المسيح واتخذ منهم أكثر تلاميذه من أصل غير يهودي ويتكلمون اليهودية برطانة، وكان ينظر إليهم بأنهم أدنى من اليهود وغير أهل لظهور نبي بينهم. «من الناصرة لا يخرج شيء صالح»[16].

تعاليمها: المعبرة عن النفسية السورية القائلة بشرعة العقل والمفارقة النفسية اليهودية الجاعلة الشرع، الأساس المناقبي للحياة الإنسانية.

«المسيح هو الذي حرر الإنسان من الشرائع التي جعلها اليهود أحكاماً أبدية»، فلم يضع شريعة.. لأن سورية كانت بلاد تمدّن باذخ عرفت التشريع المدني، ثم جاءها اليهود الذين اقتبسوا من السوريين المذهب الديني الذي هو مذهب الإله الذي يرى ولا يُرى، خالق السماوات والأرض وعالم الغيب، وجعلوه مصدر الشرع فصار جامداً غير قابل للتغيير مهما تغير الزمان وتقلبت الظروف والأحوال، فصارت الحياة مؤسسة مناقبيا وفلسفياً على الشرع، واكتفى الناس الذي آمنوا بالدين

(15) المرجع السابق ص 102 ـ 103.
(16) تاريخ سورية 267 و268 الدكتور فيليب حتي.

الجديد بالأساس المناقبي المستمد من الشرع، وكما سبق وذكرنا بأنه «بجمود الشرع عن طريق الدين، جمدت الفلسفة المناقبية أيضاً وبطل مبدأ الفيلسوف السوري الكبير زينون القائل بأن الفكر أو العقل جوهر الحياة الإنسانية، فحدث في المجتمع السوري تصادم عنيف بين النفسية السورية والشرع الموسوي الذي أخذ يقوى على عامل العقل بسبب قوة فكرة الله.. لأن هذه الفكرة أضعفت منزلة الحكمة البشرية وقوة العقل الإنساني تجاه حكمة الله وتدبيره».

«لقد أعادت المسيحية النظرة السورية إلى الحياة القائلة بتسليط العقل على مجرى التاريخ وأن ميزة الإنسان الأساسية هي الفكر».

المسيح هو الذي قال: «لا تحكموا بحسب الظاهر لكن احكموا حكماً عادلاً» (يوحنا 7: 24) وهو قال هذا القول لأن اليهود نقموا عليه لإبرائه إنساناً يوم السبت المحرم العمل فيه عند اليهود حسب شريعة موسى، وكان قد قال قبل هذه الآية «إن موسى أعطاكم الختان لا لأنه من موسى بل من الآباء فتختنون الإنسان في السبت، فإذا كان الإنسان يختن في السبت لئلا تنقض شريعة موسى أفتسخطون علي لأنني أبرأت الإنسان كله في السبت» (يوحنا 7: 22 - 24)، وكان اليهود يعترضون ليس فقط على إبراء الرجل في السبت، بل أيضاً على حمل الرجل سريره بعد شفائه، لأنه لم يكن يجوز في شريعة موسى أن يعمل شيء يوم السبت»... «وكان الكتبة والفريسيون يجادلون المسيح دائماً ويحاولون أن يأخذوه بجريرة مخالفة الشريعة، والإنجيل مشحون بهذه المحاولات، وأهم محاولة كانت هذه: ومضى يسوع إلى جبل الزيتون ثم رجع باكراً إلى الهيكل فأقبل إليه الشعب كله فجلس يعلمهم، وقدم الكتبة والفريسيون إلى يسوع امرأة أخذت في الزنى، وقد أوصى موسى في الناموس (الشريعة) أن ترجم مثل هذه فماذا تقول أنت؟ وإنما قالوا

هذا تجريباً له ليجدوا ما يشكونه به، أما يسوع فأكب يخط بإصبعه على الأرض، ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر، ثم أكب أيضاً يخط على الأرض، أما أولئك الذين سمعوا فطفقوا يخرجون واحداً فواحداً وكان الشيوخ أول الخارجين وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة في الوسط، فانتصب يسوع وقال لها: «يا امرأة أين الذين يشكونك، أما حكم عليك أحد». قالت: «لا يا رب» فقال يسوع: «ولا أنا أحكم عليك اذهبي ولا تعودي تخطئين».

«في هذا المثل يظهر الصراع بين العقل والشرع بأحلى مظاهره، الشرع واضح لا شك فيه، الزانية ترجم في التوراة.. فلم يقتصر المسيح على قوله المطلق لا تحكموا بحسب الظاهر لكن احكموا حكماً عادلاً، بل وقف وحمل مسؤولية كلامه، ولم يضع شريعة جديدة تحل محل الشريعة السابقة، في أمر الزنى، بل علّم بتحكيم العقل ليكون عادلاً وإن خالف نص الشريعة[17].

ولا ترد هنا الحجة القائلة بأن المسيح أتى ليتمم ولم يأت لينقض، لأنه في «إتمامه» نقض كل شيء في الديانة اليهودية ولم يبق على شيء يستحق الذكر، وما يؤيد ذلك أن المسيح بدأ تعاليمه بمهاجمة الوقوف عند حدود الشرع والاكتفاء بالفرائض، قال: قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل فإن من قتل يستوجب الدينونة، أما[18] أنا فأقول لكم إن كل من

(17) جنون الخلود ص 111 و112 سعاده.

(18) «أما» أداة شرط وتوكيد: أما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق وتفضيل: أما زيد فربح ونسخ لحكم أو قول سبقه: أنتم فاعلون كذا أما أنا فلست فاعلاً مثلكم وهو ما يدل عليه قول السيد المسيح بوضوح لا لبس فيه سمعتم أنه قيل الأولين كذا.. أما أنا فأقول لكم.

غضب على أخيه يستوجب الدينونة، ومن قال لأخيه «راقا» يستوجب حكم المحفل، ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم». فهذا التشدد بوجوب ترك الجمود المحدد بالشرع ليس تشريعاً جديداً ينصّ على معاقبة الذي يغضب على أخيه، كما نص الشرع الموسوي المأخوذ عن الشرع الكنعاني على معاقبة القاتل بالقتل، بل هو تعليم يقول بالحكم المناقبي المستمد من النظرة الفلسفية الجديدة كما هو نقض كامل له.. وهذا يصح أيضاً في قوله «قد سمعتم إنه قيل للأولين لا تزن أمّا أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه، ثم الآيات: قد قيل من طلق امرأته فليدفع إليها كتاب طلاق، أمّا أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا لعلة الزنى فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنى بها». وفي هذا التعليم قواعد مناقبية للترفع عن الشهوات الحيوانية والاتجاه نحو المثال الأعلى التمدني، نحو الحب وتفاهم الحبيبين للاشتراك في حياة نفسية راقية يكون الحب حافزاً على الأعمال الكبيرة والإنتاج العمراني والثقافي بدلاً من التلاشي في المغامرات الشهوانية[19].

فكرة الإله الواحد: «الله لم يكن عندهم (عند اليهود) أرقى كثيراً من الأصنام، فكانت عباداتهم له، واتصالهم به أشبه بعبادة الوثنيين للأصنام واتصالهم بها، فكانوا يشاورونه في حروبهم كما كان الوثنيون يشاورون آلهتهم في حروبهم، وكان الله خاصا بهم كما كان لكل شعب أو أمة قبيلة إله خاص بهم، فهو لهم إله إسرائيل أو إله يعقوب ونسله وهما واحد، وكما كان الصنم يحارب عن عباده أو يشير عليهم بالحرب أو السلم، كذلك «يهوه» يحارب عن اليهود أو يشير عليهم بالحرب أو السلم

(19) المرجع السابق ص 143 ـ 144.

حسبما يرى أنه موافق مصلحة اليهود، لأنه إلههم وحدهم من دون الناس..

لم ترتق فكرة الله عن فكرة الأصنام إلا بتعليم المسيح، فقد نسخ المسيح فكرة كون الله مختصاً بشعب دون شعب يحارب حروبه ضد الشعوب الأخرى، فصار الله في المسيحية إله جميع البشر على السواء لا يفرق بين سوري وهندي وإفريقي، ورفض المسيح أن يكون من نسل الشعب المختار ومن صلب داود، ولم يبق في المسيحية من فضل لإنسان على إنسان إلا بالعمل بالرحمة والعدل في الحكم[19].

في النظر إلى القيم الإنسانية: الديانة اليهودية في نظرتها إلى القيم من خير وعدل ورحمة ومحبة، قصرتها على بني إسرائيل، بينما أطلقتها المسيحية لتشمل جميع الأمم، ومن هذه الناحية يخطئ من يقول إن الديانة اليهودية يمكن اعتبارها دينا سماوياً وإنسانياً عاماً كالمسيحية والإسلام، فلا يحق من هذه الناحية وضعها على مستوى واحد معهما[20].

ولا نجد خير ما نختم به مقالنا من إصرارنا على القول بأن أغراض الدين الأخيرة واحدة في الإسلام والمسيحية، وأن سورية المسيحية لا تنفي ولا تتعارض مع إسهامات السوريين في الثقافة الإسلامية وإغنائها، مما يجعل اعتزازنا بالتراث العظيم الذي خلفه السوريون المسلمون لا يقل أبداً عن اعتزازنا بالمأثرة المسيحية، إنه جزء لا يتجزأ من ثقافتنا القومية وتاريخنا القومي، من غير تفريق بين ما هو مسيحي وبين ما هو إسلامي، وعدو المسيحية والإسلام واحد وما يرمي إليه هو الفرقة بين المؤمنين والاقتتال الذي أفقدنا الأرض ونحن نتنازع على السماء.

(20) المرجع السابق ص 192.

المسيحيون السوريون قادة الفكر المسيحي:

من المسيحيين السوريين الأوائل الذين دافعوا عن المسيحية واستشهدوا من أجلها «يوستينوس الشهيد» المولود في نابلس في مطلع القرن الثاني، نشأ نشأة وثنية ودرس الفلسفة الرواقية والفيثاغورية والأفلاطونية وآمن أخيراً بالمسيحية وكافح من أجلها، واستقر أخيراً في رومة وراسل الإمبراطور ومجلس الشيوخ داحضاً التّهم التي ألصقت بها، واشتهر بحواره مع «تريفون» اليهودي حول صحة التعليم المسيحي ومع «كريشنة الكيني» الذي وشى به لدى الإمبراطور فأعدمه عام 105م، ومن تلامذته «تاتيانوس» السوري المولود في الجزيرة السفلى عام 115م والذي أسس مدرسة في رومة لتعليم فلسفة «يوستينوس» واشتهر بخطبة التي شرح فيها التعليم المسيحي وموقفه من الفلسفات اليونانية والتشريع اليوناني، كما اشتهر بجمعه الأناجيل الأربعة وترجمها إلى السريانية، ويبدو أنه تأثر في أواخر حياته «بالغنوصية»، فامتنع عن أكل اللحوم وشرب الخمرة والزواج ولا يعرف شيء عن وفاته[21].

واجهت المسيحية في الفترة الممتدة بين 325م و 518م هزات خطيرة تناولت العقيدة المسيحية نفسها، تمثلت «بالآريوسية» و«النسطورية»، وعقدت مؤتمرات ومجامع كنسية عديدة لتسوية الخلافات دون طائل، حتى كان عصر «جوستنيان» الذي نهج في سياسته الدينية نهجاً أرثوذكسياً خالصاً، فضيق على غير المسحيين من الوثنيين واليهود والهراطقة وحرمهم من حق الانتفاع بإرث آبائهم، كما رفض شهادتهم في المحاكم وأقفل جامعة أثينا الوثنية وأبعد الهراطقة عن الوظائف العامة ومنع اجتماعاتهم وأغلق دور عباداتهم وحرمهم من الحقوق المدنية قائلاً:

(21) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 49 د/س د.أسد رستم.

«يكفي هؤلاء أنني أذنت لهم بالعيش[22].

فما هي الآريوسية وما هي النسطورية وماهي تعاليم كل منهما؟

الآريوسية:

وتنسب إلى «آريوس»، أما دعوتها فكانت، على ما يبدو، محاولة لتأكيد وحدانية الآب واعتبار الابن تابعا له ومنخفضاً عنه في الرتبة والمنزلة، فالآب وحده يستحق لقب الإله، أما الابن فهو مخلوق بإرادة الآب، إلا أنه يتميز عن سائر المخلوقات الأخرى بكونه صورة الآب في جوهره وإرادته وقدرته ومجده[23].

أما «آريوس» فهو ليبي المولد والمنشأ، سوري الثقافة، تعلّم في أنطاكية وعاش في الإسكندرية وسيم شماساً فيها وبرز كعالم وزاهد وخطيب يجيد الوعظ والإرشاد. استوحى آراءه من تعاليم لوقيانوس المعلم الإنطاكي ولعله درس عليه، فالتف حوله نفر من رجال الدين وعدد من المؤمنين وناصرته «قسطندية» أخت «قسطنطين» وشفعت له عند أخيها فتقرب من الإمبراطورية فخف لحاجته واهتم بشؤونه[24].

أبرز رجال الدين الذين قالوا قول «آريوس» وناصروه على خصمه «الكسندروس» «أسقف الإسكندرية» «أفسابيوس» العالم الكبير أسقف قيصرية فلسطين، وأساقفه اللد وبيسان وصور وبيروت واللاذقية وكيلكيا، ثم تجاوزت الآريوسية حدود مصر وسورية لتعم الأوساط المسيحية في الشرق كله، وأصبحت تراتيلها الدينية على شفة كل

(22) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 188 و189 الدكتور أسد رستم.

(23) المرجع السابق ص 193.

(24) المرجع السابق ص 195.

مسيحي، ترددها العامة والخاصة وتنشدها في الأسواق والشوارع والساحات العامة وأماكن اللهو[25]، أما موقف الإمبراطور قسطنطين فكان يتجه نحو توحيد الإمبراطورية التي عانت من التمزق فترة طويلة، مما حمله على الاستعانة بصديقه «هوسيوس» أسقف «قرطبة» الإسبانية، الذي لم يدرك أهمية هذا النزاع العقائدي وأبعاده. ولا غرو في ذلك «فإن أساقفة وشعوب الغرب كانوا لا يزالون بعيدين عن تفهم مثل هذه الأمور لتضلّعهم القليل بالفلسفة واللاهوت[26]. فعزم على الكتابة إلى «الكسندروس» أسقف الإسكندرية و«آريوس» أن لا فائدة لمثل هذه المشادة حول اللغو في الكلام ووجوب التساهل للوصول إلى حلّ مرض، كما اجتمع «هوسيوس» بالأسقف «الكسندروس»، ويبدو أنه دعا الطرفين إلى الاجتماع في «نيقية» للتشاور وتبادل الرأي.

المجتمع النيقاوي:

عقد الاجتماع في نيقية عام 335م برئاسة الإمبراطور وحضور عدد كبير من أساقفة سورية ومصر وليبيا وإيطاليا وغاليا وإسبانيا وإفريقيا الشمالية[27]، وتباحث المجتمعون فيما ذهب إليه «آريوس» وخالفه فيه أسقف الإسكندرية، فأيدّه عشرون أسقفا على رأسهم «أفسابيوس» وعارضه الباقون، ووافق «قسطنطين» على قول الأكثرية الذي تضمنه نص دستور الإيمان النيقاوي، وعلى إصدار الحرم بحق «آريوس» والحكم عليه بالنفي.

(25) المرجع السابق ص 196 عن EUSEBE في مؤلفه P. 161, Hist. ECCII. Philostoge.

(26) المرجع السابق ص 197.

(27) يمكن الرجوع إلى الفصل السابع عشر من كتاب «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول لمن يريد الاستزادة والتعرف على تفاصيل الخلاف وأبعاده.

لم يستطع المجمع النيقاوي استئصال شأفة الخلاف بين «الآريوسيين» وخصومهم، فقد تحدّى أسقف اللاذقية قرارات المجمع وعاد إلى القول بما يقوله «آريوس» بينما استأنف «أفسابيوس» نشاطه بمواجهة أسقف كنيسة أنطاكية واستطاع استصدار قرار إمبراطوري بإلغاء قرار النفي بحق «آريوس» ودعوته للمثول أمام «قسطنطين». وعندما فعل أكد على أرثوذكسيته واعترف أن الابن مولود من الآب، إلا أنه لم يقل شيئاً يتعلق بالمساواة في الجوهر، والتمس عودته إلى الكنيسة، فأحالة «قسطنطين» إلى مجمع مسكوني يعقد في «صور»، رَجَحَت فيه كفة مؤيدي «آريوس» على معارضيه.

توفي «آريوس» عام 336م، ولا يعرف على وجه الدقّة إذا كان قد أعيد اعتباره ورفع عنه الحَرَم الكنسي، ما هو مجمع عليه أن «قسطنطين» توفي هو الآخر عام 336م، دون أن يستطيع إعادة اللحمة إلى الكنيسة الأنطاكية التي استفحل فيها الشقاق وتعدّدت فيها قوانين الإيمان منها ما ماشى قول «آريوس» ومنها ما عارضه.

برز في الكنيسة الأنطاكية أثناء محنتها أسماء أساقفة سوريين أحيطوا بهالة من القداسة لعلمهم وإيمانهم العميق عُدّوا قادة الفكر المسيحي، نذكر منهم على سبيل المثال:

يوسيبيوس (262 - 349)م:

أسقف قيصرية فلسطين وأول مؤرخ كنسي عظيم[28]، ولد في قيصرية نفسها وتلقى علومه في أنطاكية، دافع عن «آريوس» في بادئ الأمر ثم عاد ومال إلى قول الأكثرية، عهد إليه «قسطنطين «برعاية المجمع النيقاوي وافتتاح جلساته وجلس على يمين الإمبراطور، واستمر طيلة

(28) تاريخ سورية الجزء الأول ص 397.

حياته صديقاً له، وكان من أبرز مثقفي عصره، له عدة مؤلفات أهمها «التاريخ الكنسي».

باسيليوس الكبير (329 - 379):

ولد في «قيصرية الجديدة» وتلقى علومه فيها أولاً ثم في القسطنطينية وأنطاكية على يد سيد البلاغة في عصره «ليبانيوس الأنطاكي» وعميد مدرسة أنطاكية، ثم انتقل إلى أثينا حيث رافق «غريغوريوس النزينزي» فأضاف إلى شدة إيمانه فصاحة الكلام. دخل سلك الرهبنة وسيم كاهنا عام 362م ثم أسقفا على قيصرية وعرف بدفاعه عن «الأرثوذكسية» بمواجهة «الآريوسية» كما اشتهر بشجاعته وشدة إيمانه. يروي عنه القديس «غريغوريوس النزينزي» أن موديستوس «برايفكتوس» الشرق قال له: «ألا تخشى سطوتي» فأجابه «باسيليوس»: «وأي شيء ينتظرني عندك؟ فإن لجأت إلى المصادرة فإنك لن تجد عندي سوى بعض الكتب، وإن قلت بالنفي فإنني غريب في هذا العالم وغريب أينما حللت، وإن أمرت بالتعذيب، فإن هذا الجسد النحيل لن يلقى منك سوى ضربة واحدة، أما لموت فإنه يعجِّل لقائي بالرب إلهي الذي من أجله أحيا وأتحرك ولأجله أصبحت نصف ميت وللقائه أتلهف منذ أمد بعيد»[29].

عمل «باسيليوس الكبير» على رأب الصدع في كنيسة أنطاكية التي كان يعتبرها «أم الكنائس» والمأثور عنه قوله: «وهل هناك أعظم من أنطاكية بين كنائس المسكونة، فإذا ما ساد التفاهم فيها عاد الوفاق والوئام إلى غيرها»[30]. راسل أسقف رومة وفاوض «ملاتيوس» وعمل

(29) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 249 الدكتور أسد رستم.
(30) المرجع السابق ص 249.

على إحياء المحبة بين الكنائس، ولا تزال الطقوس التي وضعها هو ونقّحها «يوحنا فم الذهب» تستعمل في الكنائس الأرثوذكسية[31].

يوحنا فم الذهب *(345 - 407)*:

ولد يوحنا في أنطاكية سنة 345م وتوفي والده وهو لا يزال في الرابعة من عمره. عزفت أمه عن الزواج وانصرفت بكليتها لتربيته وتثقيفه، فكان أن انتسب إلى مدرسة أنطاكية وتتلمذ على يد عميدها «ليبانيوس» أشهر بلغاء عصره، ونبغ في اللغة والبيان والفصاحة حتى أن «ليبانيوس» خاطب تلاميذه وهو يحتضر قائلاً: «كان بودّي أن أختار يوحنا لإدارة مدرستي من بعدي ولكن المسيحيين سرقوه منا»[32] كما درس الفلسفة على «أندروغاثيوس» وفي أنطاكية أيضاً، وامتهن المحاماة وبرع فيها ونال إعجاب القضاة ورجال الحكم، ثم عزف عنها فجأة وأقبل على دراسة الإنجيل برعاية «ملاتيوس الجليل»: أسقف أنطاكية، الذي عندما تيقن من إيمانه المسيحي، منحه سر المعمودية، فانصرف بعد ذلك إلى المطالعة والصلاة والزهد في جبل قرب أنطاكية يرجح أنه جبل «سلبيوس» ثم سيم شماساً وفي سنة 386م اصبح كاهناً وواعظاً، فملك العقول والقلوب بفصاحته ولم يكتف بمهاجمة الرذائل المستشرية بل عمل لإصلاح المجتمع ومعالجة قضيتي الفقر والرقيق.. فهاجم الأغنياء ودعاهم إلى ترك أساليب الغش والاحتكار والربا لبلوغ الثروة، وحثّهم على مدّ يد المعونة للمحرومين والمساكين. فكانت رسالته رسالة اجتماعية في عصر كهنوتي لاهوتي[33]. وعندما ثارت أنطاكية على الظلم والفساد والرشوة

(31) «تاريخ سورية» الجزء الأول ص 349 الدكتور فيليب حتي.

(32) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 259 الدكتور أسد رستم.

(33) «تاريخ سورية» الجزء الأول ص 396 الدكتور فيليب حتي.

عام 387م، اختبأ رجال الشرطة وتوارى الأعيان، والأغنياء هرباً من مواجهة الشعب الثائر، وهجر المدينة رجال الدين إلى الهضاب المجاورة ولم يعبأوا بما يلاقيه الفقراء من عَنَتٍ وقسوة جباةالضرائب، فقابل يوحنا موقفهم بالازدراء والسخط وعنفهم قائلاً: «أين هم أولئك الرجال أصحاب الطيالس الطويلة واللحى العريضة الذين كانوا يمشون شامخي الأنوف في الأندية العمومية؟ أين هم في ساعة المحنة والأحزان، لقد هجروا المدينة عند حلول الخطر وفروا إلى المغاور والأودية إخفاء لعار ضعفهم، ولم يأت لإغاثة الشعب في ضيقه، إلا محبو الحكمة الحقيقية، حكمة الصليب، هؤلاء النساك مستودعو كنز تعليم الرسل وورثة غيرتهم وشجاعتهم، وكفى بالحوادث صوتاً يفحم كل خصم» (نخبة النخب)(34).

في عام 398م تبوّأ الذهبي الفم أسقفية رومة الجديدة (القسطنطينية) فلم يعبأ بالعظمة ولم يتباه بالمنصب بل ابتدأ بالإصلاح فخفض النفقات وباع الكنوز التي جمعها سلفه وأنفقها على الفقراء والمعوزين، وعَنِيَ بإصلاح الأكليروس وأوجب عليه الزهد في المأكل والملبس والقيام بالواجب المقدس اقتداء بالآباء الأولين وعملاً بالتعاليم المسيحية، وتفقد بنفسه الأديرة، وأثنى على المحافظين على فرائض الدعوى وأكره المخالفين على الرجوع إلى التقليد المسيحي، وحرّم على الكهنة قبول العذارى في بيوتهم، وأنشأ لهن أماكن ينسجن فيها ثياباً للفقراء، وفرض على الأرمل عدم ارتياد الحمّامات والملاعب والاعتصام بحبل الفضيلة، وواجه «الآريوسيين» و«الأفيوميين» و«المانيين» و«الماركونيين» و«الفالنتيين» وفنّد أقوالهم ورد على آرائهم.

(34) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 367 الدكتور أسد رستم.

لقد أثار موقف «الذهبي الفم» وإصلاحاته الخصوم عليه، وانضمّ إلى المعارضين عدد من الأرامل كان لديهن حظوة لدى رجال البلاط، ونقمت عليه «يودوكسيا» زوجة الإمبراطورية «أركاديوس» فما لانت قناته ولم يتردّد في إحدى عظاته بمقارنتها «بهيرودية»، واحتج على إقامة تمثال لها قرب الكنيسة العظيمة»[35]. ونفي مرتين، وتحمل المشقات والآلام بصبر وثبات إلى أن توفي وهو في طريقه إلى منفاه بعد أن أجبر على السير مسافات طويلة تحت أشعة الشمس اللاهبة والأمطار الغزيرة ونقل جثمانه إلى القسطنطينية ودفن في احتفال مهيب.

يعبتر «الذهبي الفم» من أشهر معلمي الأخلاق المسيحية الأول الذين أنجبتهم الكنيسة[36]، وأوفرهم حكمة وأبلغهم فصاحة وأكثرهم شجاعة، الأمر الذي جعله يتبوأ منزلة القداسة والكرامة في الكنيسة المسيحية.

أفرام البار (303 ـ 397):

ولد من أبوين سوريين مسيحيين في نصيبين، اعتكف وزهد في الدنيا وأكبّ على الصلاة والصوم ولم يأكل سوى خبز الشعير و البقول المجفّفة ولم يشرب سوى الماء واطلق عليه «معزّي الحزانى ومرشد الشبان الضالين»[37]. علّم في مدرسة نصيبين وعندما سقطت في يد الفرس انتقل إلى «الرها» وأشرف على مدرستها وقاوم البدع ودعا إلى التعاليم المسيحية، ويعتبر إمام اللغة السريانية وفارسها المجلّى.

مار مارون:

وهو قديس ناسك اعتكف في أحد الجبال، وقضى حياته بالصلاة

(35) «تاريخ سورية» الجزء الأول ص 396 الدكتور فيليب حتى.

(36) المرجع السابق ص 397.

(37) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 291 الدكتور أسد رستم.

والتوبة وكتب له «ويوحنا الذهبي الفم» من «أرمينية» أثناء نفيه، يستخبر عن أمره ويلتمس دعاءه. ويعتقد أنه توفي عام 410م ولاتزال الكنيسة بفرعيها اليوناني واللاتيني تعيّد لهذا القديس حتى يومنا هذا[38].

النسطورية:

تمثل «النسطورية» بعد «الآريوسية»، الانشقاق الثاني في الكنيسة الأنطاكية، ويذهب الدكتور «فيليب حتي»، أن هذه الانشقاقات التي عانت منها الكنيسة، إن هي إلا تعبير عن اليقظة القومية السورية، فبعد أن غمرت الروح السورية لعدة قرون موجة من الحضارة اليونانية، عادت أخيراً لتؤكد ذاتها من جديد، عن طريق الأبحاث اللاهوتية التي كانت تهيمن على عقول المثقفين السوريين في القرنين الرابع والخامس الميلاديين[39]. فكان أصحاب هذه الانشقاقات إما من أصل سوري أو أنهم يحملون ثقافة سورية، وكردٍ على «الآريوسية» وتأكيدها على الطبيعة البشرية للسيد المسيح ظهرت «الأبولينارسية» نسبة إلى «أبولينارس» اللاذقني الأنطاكي لتؤكد أن الجسد البشري للسيد المسيح هو حقيقة، ولكن الكلمة LOGOS كانت تحتل في شخصه المقدس مكان النفس التي هي أهم جزء في الإنسان، فاعتبرت تمهيداً لآراء «نسطوريوس» الذي قال بالطبيعتين أو الأقنومين، الطبيعة البشرية والطبيعة اللاهوتية.

ولد «نسطوريوس» في ضواحي مرعش من أبوين سوريين، ودرس فيها اليونانية ومبادئ العلوم ثم تفقّه في أنطاكية وسيم كاهناً فيها ولم يلبث أن اعتلى سدّة أسقفية القسطنطينية عام 428م، وكان أول

(38) المرجع السابق ص 292.

(39) «تاريخ سورية» الجزء الأول ص 41 الدكتور فيليب حتي.

مافعله محاربة «الآريوسية» وملاحقة أتباعها.

لم يمض وقت طويل حتى شَجَر خلاف في كنيسة القسطنطينية نفسها حول استعمال عبارة «أم الإله» مقرونة «بمريم العذراء»، فرأى «نسطوريوس» عدم جوازها، لأن القول بها يؤدي إلى خلط بين اللاهوت والناسوت، فضلاً عن أن هذا الاصطلاح لم يرد في الأسفار المقدسة، ولم يستعمله الآباء في «مجمع نيقية»، مما يعني أن «نسطوريوس» رفض القول باتحاد الطبيعتين البشرية والإلهية في المسيح اتحاداً طبيعياً وجوهرياً[40]. ومع أن «نسطوريوس» كان أنطاكي المذهب، فإن «كيرليس» أسقف الإسكندرية كان ينظر إليه نظرة الغَيْرة والحسد، فاتخذ من هذا القول مناسبة للتشهير به لدى الأساقفة ناعتا إياه بالضلال والخروج عن الدين القويم، ولم يكتف بذلك بل أرسل وفداً إليه يحمل رسالة «تعلمه كيف يجب أن يؤمن»[41] وألحق بها اثني عشر بنداً يطلب منه التوقيع عليها.

ويبدو أن «نسطوريوس» لدى اطلاعه على الرسالة غضب غضباً شديدا، ورفض مقابلة الوفد الإسكندري، ثم أطلع عليها «يوحنا أسقف أنطاكية» فوصفها «بالابولينارية» وطلب من الأساقفة دراستها والرد عليها، فاندفع عدد منهم يردون على «كيرلس» مسفهين رأيه. وهكذا بين ليلة وضحاها انشقت الكنيسة على نفسها بين مؤيد «لنسطوريوس» ومعارض له.

عندها أطلع «نسطوريوس» الإمبراطور «تيودوثيوس الثاني» على واقع الحال وطلب منه الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني للبتّ في الخلاف

(40) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 308 الدكتور أسد رستم.
(41) المرجع السابق ص 309.

الحاصل، فاستجاب الإمبراطور إلى رغبته وقرر عقد المجتمع في «أفسس» في ٧ حزيران عام 431م.

ويبدو أن الاجتماع بدأ ولم يكن الوفد الأنطاكي قد حضر لمتاعب واجهته في الطريق، فاستغلّ «كيرلس» الفرصة وترك لحسده وحقده وخوفه من مناقشة بنوده أمام المجمع العنان، فافتتح أعمال المجمع برئاسته ومعه مؤيدوه ودعا «نسطوريوس» إلى الحضور، فامتنع لعدم جواز مباشرة العمل ومناقشة الخلاف بغياب الوفد الإنطاكي(42). فما كان من «كيرلس» ومناصريه إلا أن أصدروا قراراً بقطعه من الكنيسة، وكتبوا إلى الإمبراطور وأساقفة أنطاكية والقسطنطينية بذلك، رغم احتجاج ممثل الإمبراطور وعدم موافقته.

ولدى وصول «يوحنا» أسقف أنطاكية هاله ما سمع واعتبر عمل المجمع ظاهرة من مظاهر الرعونة والاستبداد، فدعا بدروه إلى مجمع حضره ثلاثة وأربعون أسقفاً حكم فيه بالقطع على «كيرلس» وعلى جميع الأساقفة الذين ساهموا باتخاذ مقررات مخالفة للنظام، وأبلغوا قرارهم هذا إلى الإمبراطور والمجلس الأعلى والإمبراطورة والاكليروس والشعب(43).

قابل «كيرلّس» ذلك بأن عقد هو الآخر مجمعاً دعا إليه «يوحنا» أسقف أنطاكية، ولما لم يحضر قرر قطعه من شركة الكنيسة ومعه ثلاثة أو أربعة وثلاثون أسقفاً، وكتب بذلك إلى الإمبراطور، فأمر هذا بتكدير «كيرلس» وتوبيخه وببقاء جميع الأساقفة في «أفسس» ليصار إلى عقد مجمع جديد.

(42) المرجع السابق ص 315.
(43) المرجع السابق ص 320.

في هذه المجمع أعلن الإمبراطور «براءة» خلع فيها «نسطوريوس» و«كيرلس»، وأعلن وجوب التمسك بدستور الإيمان النيقاوي، ووافق الوفد الإنطاكي على ضمّه تعبير «والدة الإله» دون ذكر اسم «نسطوريوس»، أما كيرلس فنثر الذهب في العاصمة وقال بالتسوية(44) وعندما شعر «نسطوريوس» بذلك استقال من منصبه وآثر العودة إلى الدير في أنطاكية ولم يطلب شيئاً سوى إبطال بنود «كيرلس» الأثني عشر، هذه البنود التي كانت ولا تزال موضع جدل عنيف بين أنطاكية والإسكندرية، وبعد عودة الأساقفة إلى أنطاكية عقدوا مجمعين: أحدهما في طرصوص والآخر في أنطاكية وأعادوا الحرم على «كيرلس» وبنوده.

ويطول بنا الشرح إذا أتينا على ما تلا ذلك من أحداث، تدل كلها على حقد وخبث «كيرلس» وترفع «نسطوريوس» فتمت المصالحة بين «كيرلس» ومعارضيه على حساب «نسطوريوس»، وأبعد عن أنطاكية إلى «البتراء» أولاً ثم إلى «الواحة الكبرى» في صحراء ليبيا حيث توفي هناك، ولا يعلم تاريخ وفاته، وقضي بتحريم تعاليمه وحرق كتبه.

اليعقوبية:

وتنسب إلى «يعقوب البرادعي» (543 - 378) الذي دعا إلى الإيمان بالطبيعة الإلهية الواحدة للسيد المسيح MONO PHISISM ورفض طبيعته البشرية، فالتجسد في نظر «اليعاقبة» هو مظهر لحقيقة المسيح الإلهية.

لقد شاع هذا الإيمان أواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس في معظم أنحاء سورية الشمالية وورث أتباع «أبوليناريس» في الجنوب، كما انتشر في أرمينية ومصر وبلاد ما بين النهرين، ولاتزال الكنيستان الأرمنية والقبطية حتى أيامنا هذه تتمسكان به، وهو يمثل الانشقاق الثاني بعد

(44) المرجع السابق ص 322.

النسطورية في الكنيسة الأنطاكية، ولعلّه الأهم والاخطر شأناً والاعظم حدّة[45].

يمكن ردّ أصول هذا المذهب إلى راهب عاش في القسطنطينية اسمه «أوطيخة» عرف بزهده وورعه واحترام الإمبراطورية له، وقد تابع خلاف «كيرلّس» الإسكندرية ونسطوريوس، ومال إلى الأول وكره الثاني وقال بالطبيعة الإلهية المتلاشية فيها «تلاشى نقطة من الخمر وقعت في بحر ماء[46] فالمسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة.

مال إلى هذا القول أسقف «الرها» والناسك السوري «برصوم» وتصدّى له «دومنوس» أسقف أنطاكية و «تيودوريطس» أسقف «قورش» في سورية. وكتب «دومنوس» إلى الإمبراطورية يلفت نظره إلى هرطقة «أوطيخة» وخروجه على التعليم المسيحي، إلا أن الإمبراطور لم يرض عن هذه الشكوى، فأجاب عليها بإرادة إمبراطورية تقضي بتحريم كتب «بورفيروس» و«نسطوريوس» وجمع الكتب والتعاليم التي لا تتفق مع نصوص وقرارات مجمعي «نيقية» و«أفسس» وبنود «كيرلس» الاثني عشر،وأتبعها بإرادة أخرى تقضي بعزل أسقف صور وتجميد «تيودوريطس» في حدود أبرشيته ومحاكمة اساقفة «الرها» و«حران» في بيروت.. ثم دعا إلى عقد مجمع في «أفسس»، أوجب فيه حضور «برصوم» والقائلين قوله للنظر في قضية «أوطيخة»، وعقد المجمع في كنيسة السيدة في الثامن من آب 449م، ومثل الكنيسة الأنطاكية «دومنوس» رئيس أساقفتها ومعه واحد وعشرون أسقفاً، بينما تمثّلت الكنائس الأخرى بأساقفتها كما حضر ممثل عن الكنيسة الرومانية.

(45) «تاريخ سورية» الجزء الأول ص 412 الدكتور فيليب حتي.

(46) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 328 الدكتور أسد رستم.

أطلق على هذا المجمع «المجمع اللصوصي» أو مجمع «قطاع الطرق» نظراً للأحداث التي تخلّلته والطريقة التي تمّت فيها معالجة القضايا المطروحة وفي مقدمتها قضية «أوطيخة» فقد اقتحم الجند والرهبان مشايعو «أوطيخة» والبحارة المصريون وعناصر الغوغاء أبواب الكنيسة واعتدوا على المعارضين بالضرب وجروا أحدهم «فلابيانوس» إلى المذبح وداسوا عليه بالأقدام، فتوفي بعد ثلاثة أيام وهو في طريقه إلى المنفى، بينما هرب الآخرون للنجاة بأنفسهم.

ازدادت حدّة الخلاف بين الفريقين، ووقف «لاوون» أسقف رومة من المجمع موقفاً معارضاً، وطلب من الإمبراطور عقد مجمع آخر، ولكن الإمبراطور أجاب أن ماجرى كان كافياً وأن لا حاجة إلى عقد مجمع آخر.. ولكن وفاة «تيودوسيوس» وتولّي «مركانيوس» قائد جيشه شؤون الإمبراطورية أدى إلى الدعوة لعقد مجمع جديد عرف «بالمجمع الخليقدوني» الرابع في السابع عشر من أيار سنة 451م.

وبدون الدخول في التفاصيل تمخض المجمع عن اعتراف المجتمعين بأن المسيح «هو نفسه كامل بحسب اللاهوت وهو نفسه كامل بحسب الناسوت، إله حقيقي وإنسان حقيقي وهو نفسه من نفس واحدة وجسد مساو للآب في جوهر اللاهوت.. مولود من الآب قبل الدهور.. مولود من مريم العذراء والدة الإله بحسب الناسوت لأجلنا، ولأجل خلاصنا.. ومعروف هو نفسه مسيحاً وابناً ورباً ووحيداً واحداً بطبيعتين بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال[47] واقترن بموافقة الإمبراطور معلنا عدم الرضى الامبراطوري عن «أوطيخة» وتلي تحديد المجمع فوقع عليه الآباء وصادق الإمبراطور.

(47) المصدر السابق ص 342 و343.

لم تنه مقررات المجمع الخلاف حول طبيعة السيد المسيح، فقد كان لا يزال هناك عدد غفير من النسّاك والرهبان يقولون بالطبيعة الواحدة بزعامة راهب سوري من فلسطين اسمه «تيودوسيوس» فهاجموا المجتمع واتهموا المجتمعين بأنهم يقولون قول «نسطوريوس» ودعوا إلى عقد مجمع جديد يضم الآباء والقائلين بالطبيعة الواحدة.. وتحول الاجتماع إلى شبه ثورة دامية حملت الإمبراطورية إلى إرسال جيش لمواجهة الثائرين، فوقعت معركة قرب «نابلس» سقط فيها عدد كبير من الرهبان، وفر «تيودوسيوس» إلى سيناء، ثم ألقى القبض عليه، وأودع أحد الأديرة حتى وفاته سنة 457م، ونقلت رفاته إلى قبرص.

دخلت الكنيسة خلال هذه الحقيقة مرحلة من الفوضى كثرت فيه سيامة الأساقفة وخلعهم، كان من أسبابها تردد الأباطرة بين القائلين بالطبيعة الواحدة وبين معارضيهم، وظلت الحال على هذا المنوال حتى ظهرت كنائس «مونوفيزية» استقلت عن الكنيسة الجامعة، في كل من سورية ومصر وأرمينية[48].

سوفيروس الانطاكي:

عَلَم من أعلام القائلين بالطبيعة الواحدة، ولد في «سوزوبوليس» من أعمال «بسيدية» عام 459م، درس اليونانية في مدرسة الإسكندرية والفقه الروماني في «مدرسة بيروت للحقوق»، وكان من أعظم علماء عصره بيانا وأوفرهم تبحراً في القانون وأوغلهم معرفة في الأسفار المقدسة والتنقيب عن التقليد، وأصلبهم موقفاً وحجّة في دحض مقررات المؤتمر الخلقيدوني الرابع..

(48) المصدر السابق ص 351.

اختار لنفسه الزهد وسيم كاهناً في «طرابلس» ثم أخرج من الأبرشية لقوله بالطبيعة الواحدة في فلسطين، فارتحل إلى القسطنطينية، وبقي فيها ثلاث سنوات يخطب ويجادل ويؤلف في الطبيعة الواحدة، حتى استطاع أخيراً تولي أسقفية أنطاكية، فوجّه بهذه المناسبة بياناً لاتزال ترجمته إلى السريانية محفوظة ليومنا هذا[49]. ثم دعا إلى انعقاد مجمع في صور عام 514م أيد أعماله أساقفة «أنطاكية» و«أفاميا» و«وادي الفرات» و«الرّها» وما «بين النهرين» و«البتراء» و«فينيقية»، بينما عارضه أساقفة «صور» و«دمشق» و«بصرى»، وأشتد الخلاف بين الفريقين وتحول إلى العنف وسقط بعض الرهبان قتلى دفاعاً عما يؤمنون به. يعزو إليه عدد من المؤرخين مقتل عدد من الأرثوذكسيين المعارضين الذين حاولوا التوجه إلى مقام «سمعان العامودي» احتجاجاً على أعمال المجمع[50] ولم تعد الأمور إلى نصابها إلا بتولي «جوستينيان» سدّة الإمبراطورية. ويبدو أن «سوفيروس» تعرّض للاضطهاد، فالتجأ إلى مصر وبقي فيها عشرين سنة يناضل بلا كلل أو ملل في سبيل إيمانه.

سياسة جوستينيان الدينية:

نهج «جوستينيان» في سياسته الدينية نهجاً أرثوذكسياً متشدّداً، فقد أراد كنيسة واحدة جامعة لدولة موحّدة، الأمر الذي دفعه إلى الضرب على أيدي الوثنيين واليهود والهراطقة وإلى التدخل في شؤون الكنيسة كبيرها وصغيرها. ومن هنا شرعته الكنسية التي عرضنا إليها في مؤلفنا «مآثر سورية في العصر الروماني».

(49) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 357 الدكتور أسد رستم.
(50) المصدر السابق ص 360.

الأرثوذكسية والانشقاق الكبير:

1 ـ **مشكلة الانبثاق:** خضعت رومة للألمان سنة 962م بقيادة ملكهم «أوتون الأول»، وأكره «يوحنا الثاني عشر» على تتويجه إمبراطوراً، فأسس الإمبراطورية الجرمانية المقدسة التي دامت حتى عام 1806م.

أثار الألمان الغزاة مشكلة انبثاق الروح القدس، هل حصل من «الآب» كما هو عليه حال دستور الإيمان النيقاوي. أم من «الآب والابن» باعتبار أن الآب مساو الابن في الجوهر، فأضافوا عبارة و«الابن» وكذلك فعل الإسبان الكاثوليك، وقبل البابا «فورسوس» بهذا التعديل سند 891م، بينما رفضه مسيحيو الشرق لمخالفته نصّاً إنجيلياً ورد على لسان السيد المسيح في إنجيل يوحنا «الفصل الخامس عشر»، الآية السادسة والعشرون «متى جاء المعزّي الذي أرسله إليكم من لدن الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق»، ولأن الدستور النيقاوي لعام 325 نفسه يشير إلى المساواة التي يؤكّدها الغربيون بدون مبرّر أو لزوم: «أن المسيح ابن الله الوحيد مولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء..» كما تم التأكيد عليها في المجمع المسكوني السابع المنعقد سنة 787م..

2 ـ **مشكلة تقدم البابا وطاعته:** لأنه خليفة الرسول بطرس ومعصوم عن الخطأ.. وهي مشكلة أخرى أثارها وافتعلها مسيحيو الغرب، ومع هذا «فقد ظلت كنائس اللاتين مفتوحة في القسطنطينية وسواها من مدن الشرق، وظلوا يتعبدون في كنائس الروم».

ويبدو أن التشدّد على المطالبة بتقدم البابا على بطريرك المسكونة

والدعوة إلى طاعته جعل الظروف مهيّأة وقابلة للاشتعال فجاءتها الشرارة قوية من عالم السياسة[51].

3 ـ **روما تتحدّى القسطنطينية:** كان الجنوب الإيطالي لا يزال في قبضة الروم، وكان هذا الجنوب يشتمل على أمارتين لومبارديتين وعلى ثلاث مدن يونانية حرة.

ومع أن كنيسة القسطنطينية لم تحاول التدخل في شؤون الكنائس اللاتينية الكائنة في الأمارتين الإيطاليتين الجنوبيتين، إلا أنها لم تكن ترضى عن تطلع اللاتين إلى ما وراء حدود رومة، فكان استيلاء النورمانديين على هاتين الأمارتين والمدن تحدّياً واضحاً لسلطات القسطنطينية الروحية، خاصة عندما أخذوا يمارسون الضغط على الكنائس التابعة لهذه السلطات بتأييد رومة وإمبراطور ألمانيا، قابله ضغط على الكنائس اللاتينية الموجودة في القسطنطينية وحملها على ممارسة الطقس الكنسي اليوناني، وعندما امتنعت أمر البطريرك المسكوني بإغلاقها.

والثابت تاريخياً أن الكاردينال «هومبرتو» الذي سنأتي على ذكره، عمل بكل ما أوتي من جهد على إثارة مشاعر الفريقين وصولاً للانشقاق، فزعم أن أحد الرهبان التابعين البطريركية المسكونية أخذ القربان المقدس المحفوظ في إحدى الكنائس اللاتينية وداسه بقدميه قائلاً بأنه غير مقدس.. ثم أتت الرسائل المتبادلة بين رجال الدين من الكنيستين وتحريفها والزيادة عليها لتزيد الفتنة اشتعالاً..

ولكي لا يرتاب أحد في سيادة رومة وسَبْقِها على القسطنطينية، فقد اعتمد الكاردينال «هومبرتو» على «منحة قسطنطين». وهي وثيقة مزوّرة

(51) المرجع السابق الجزء الثاني ص 213.

بإجماع رجال الاختصاص من كاثوليك غربيين وبروتستانت علاوة على الأرثوذكس[52].

الكاردينال «هومبرتو» في القسطنطينية: كان الكاردينال «هومبرتو» يمين البابا «لاون التاسع»، وكان على شيء من العلم والثقافة، إلا أنه كان معروفاً بتصلّبه وتعنّته وضيق صدره وتكبّره وصلفه وصفاقته، وهو الذي أعدّ رسالة البابا إلى بطريرك المسكونة مؤكّداً فيها أولوية رومة وسيادتها مؤنّباً إياه على تطاوله على هذه السيادة ولومه على انتقاد الطقس اللاتيني وراجياً الله أن يلاقي ممثلو البابا الوافدون إلى القسطنطينية التوبة والندامة..

وصل الوفد إلى القسطنطينية عاصمة الروم في أوائل نيسان عام 1054، ثم عرّج على البطريركية، فاستقبله البطريرك المسكوني محاطاً برهط من المطارنة ورجل الاكليروس، إلا أن «هومبرتو» بدلاً من أن يكون متواضعاً كما يقضي العرف الكنسي، فقد أقبل شامخ الأنف متغطرساً وألقى برسالة البابا إلى البطريرك بقلّة احترام ثم خرج مزهوّاً.. فاعتبر البطريرك هذا العمل وقاحة وخرقاً لحجاب الحشمة.. لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى إصدار «هومبرتو» حَرَماً ضد كنيسة القسطنطينية تضمن تهماً ضدها كالهرطقة وافتراءات لا أساس لها من الصحة.

دعا بطريرك القسطنطينية المجمع المقدس إلى النظر في قضية «هومبرتو» فالتأم المجمع وقرر لعن الحرم وواضعيه وكل من عاون في إعداده، ولم يفته الطعن في مشروعية الوفد الذي جاء من تلقاء نفسه وبدون تفويض من البابا ولفّق كتباً ورسائل لا علم للبابا بها[53].

(52) المرجع السابق ص 219.
(53) المرجع السابق ص 219.

المهم في هذا المجال أن نذكر أن الأهمية التاريخية للحرم، حتى في حال صدوره عن البابا، فإنه لم يشمل الكنيسة الأرثوذكسية بأسرها، بل إنه ضد بطريرك واحد من بطاركتها وعدد معين من اكليركييها.. كما أن السيمومة Semeioume الصادرة عن بطريرك المسكونة لم تشمل الكنيسة اللاتينية، ولم تذكر أحداً من رؤسائها، وإنما صدرت بحق «هومبرتو».

يعلّق «الدكتور أسد رستم» على ذلك بقوله المحقّ: «إن الحَرَم عرض من أعراض علّة مزمنة كانت ولا تزال تنتاب الكنيسة الجامعة بفرعَيْها اللاتيني واليوناني إلى يومنا هذا. فكنيسة رومة ما فتئت منذ القرون الأولى تطالب بالسلطة العليا على جميع الكنائس في الغرب والشرق.. وكنائس الشرق ما فتئت منذ القرون الأولى أيضاً تردّ هذا الزعم مؤكّدة تساوي الرسل والأسقفة والبطاركة مبيّنة أن السلطات العليا في الكنيسة الجامعة تعود للمجمع المسكوني، وأن المجامع المسكونية أجمعت على ذلك وأن شرائع «جوستينيان» أثبتت هذا التساوي بما لا يحتمل الشك»..

إن الذين مهّدوا لهذا الانشقاق في الشرق والغرب مدانون، خلت قلوبهم من المحبّة المسيحية التي تتأنّى وترفق ولا تحسد ولا تتباهى ولا تظنُّ السوء ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق وتتغاضى عن كل شيء وتصدّق كل شيء وتصبر على كل شيء.. من أجل اتحاد الكل(54).

الموارنة سوريون وكنيستهم كنيسة أنطاكية سورية:

يرجع الباحثون والإختصاصيون موارنة لبنان إلى العناصر الآرامية

(54) المرجع نفسه 89 - 230، 231 - 232.

التي هاجرت على دفعات وموجات صغيرة وفي أزمنة متفاوتة إلى لبنان واستقرّت في أعاليه الشمالية في منطقة «الجبّة» القريبة من وادي العاصي وفي «العاقورة» التي كانت لا تزال قليلة السكان كثيرة الغابات.

في كتابه «التنبيه والإشراف» تصدّى المؤرخ «المسعودي» لتاريخ الموارنة فقال عنهم: «وظهر في أيام «موريق» رجل من أهل مدينة «حماة» من أعمال حمص يعرف «مارون» وإليه تنسب المارونية وينسب الموارنة. وأمرهم مشهور بالشام وفي غيرها وأكثرهم بجبل لبنان وحمص وأعمالها «كحماة» و«شيزر» و«معرة النعمان».. وكان لهم دير عظيم يعرف في «شرق حماة» ذو بنيان عظيم حوله أكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان. وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم، فخرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الأعراب وجور السلطان، وهو يقرب من نهر «العاصي»، نهر حمص وأنطاكية، وكان «مارون» قد أحدث آراء أبان بها عمن تقدمه من النصارى في المشيئة وغيرها، وكثر متبوعوه، وقد أتينا على شرح مذهبه ومواقفه الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالوث ومخالفته إياهم فيما ذهب إليه من أن المسيح جوهران، أقنوم واحد، مشيئة واحدة، وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية»[55].

تأسيس الكنيسة المارونية: تأسست الكنيسة المارونية كما يجمع المؤرخون بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن «وأثبت ما يستنتج من تقاليد الموارنة أن رهبان دير مار مارون وأتباعهم، أثناء شغور الكرسي الأنطاكي، نادوا «بيوحنا» أحد رهبانهم الأفاضل بطريكياً على

---

(55) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى «ص54 الدكتور أسد رستم».

أنطاكية وأنه أول بطاركتهم. ومما جاء في التقليد أنه رقد في جبل لبنان وتوالى بعده بطاركة الموارنة»[56].

«لقد سطت محن الدهر وعوادي الزمن على آثار الموارنة الأولين فلم يبق منها شيئ يذكر، وأقدم ما عندهم «كتاب الهدى» و«المقالات العشر». ويعد الكتاب الأول دستور الطائفة المارونية، عني بنشره الأخ «بطرس تامر العشقوني» - حلب 1935. وينسب إلى «المطران داود الماروني» الذي نقله من السريانية إلى العربية نحو عام 1058م.. ويهمنا منه إيمان الموارنة، وإليك نصه:

«نعتقد وهكذا نؤمن أن أحد الأقانيم الثلاثة الشريفة وهو الابن الكلمة المولود من الآب ليس في الزمان والابتداء وليس كتوالد الأجسام بعضها من بعض، بل هو نور إله من إله حق في آخر الزمان. من أجل كثرة رحمته، قد صنع خلاص الجنس الآدمي بمشيئة الآب وروح القدس، هبط من السماء من غير أن يفارق ذات الآب ومن غير تغير ولا فساد تجسد من روح القدس والطاهرة ابنة يواقيم وحنة وأخذ منها جسداً موازياً لنا في طبيعتنا وموازياً لنا في جوهرنا الإنساني جسماً ذا نفس ناطقة عالمة وشابهنا في كل شيء سوى الخطيئة وولد منها ابناً واحداً ورباً واحداً يسوع المسيح وشخصاً واحداً ذا جوهرين معقولين من جوهر الآب الأزلي بلاهوته ومن جوهرنا بناسوته محسوس بالجسم الإنساني وغير محسوس باللاهوت محدود بالجسم الزمني الإنساني وغير محدود باللاهوت الأزلي الأبدي»..

أما «المقالات العشر» فهو كتاب في المشيئة الواحدة للأسقف «توما الكفرطابي»، إذ يقول مع كتاب الهدى بالطبيعتين اللاهوت والناسوت

(56) المرجع السابق ص 57.

والمشيئة الواحدة. ويبدو أن صاحبه توما كان أسقفاً على موارنة «كفر طابا» و«كورة حلب»[57].

وواضح من هذا الكتاب أن «بلاد سوريا الشام» ومنها حلب ودمشق وجبل لبنان قالوا إننا نحن راجعون إلى حكم دير ماران سرياني وتفسيرها بالعربي «دير ربنا»، لأن صفة هذا الدير كان على شاطئ العاصي خارج مدينة حماة، وكانت جملة رهبانه ثمانمائة راهب كلهم قديسون.

يستخلص مما سبق أعلاه أن الموارنة هم سوريون أصلاً وفرعاً يقولون ما قالته الكنيسة الأنطاكية السورية في الإيمان بالسيد المسيح، ولا نجد ما يميزهم عن سواهم من المسيحيين سوى أنهم سكنوا جبل لبنان وزعم بعض المتعصبين منهم أنهم غير المسيحيين السوريين وينتسبون إلى غير السوريين. وهو ما تبين لنا خطأه وبطلانه بعد مراجعة لأصولهم وإيمانهم المسيحي.

الوثنيتان اليونانية والرومانية:

بعد المسيحية المتهودة تأتي الوثنية، وهنا لابد من التعريف بالوثنيتين اليونانية والرومانية بوصفهما معتقداً دينياً واجه التعاليم المسيحية وحاربها، وغالباً ما تحالف مع اليهودية للتنكيل بها واضطهادها للقضاء عليها.

أما الوثنية اليونانية فكانت ديانة الغالبية العظمى لبقايا الجاليات اليونانية المنتشرة في سورية منذ عهد «سلوقس». وللتعريف بها لابد أن يكون مفهوماً لدينا، أن التاريخ اليوناني الحضاري كله لا يمتد إلى أكثر من القرن الثامن قبل الميلاد، وأن زمن ما قبل التاريخ تركز، كما تدل المكتشفات الأثرية، في جزيرة «كريت»، وهو زمن يحيط به الغموض

(57) المرجع السابق ص 8.

وتختلط فيه الحقائق بالأساطير، ولا يعرف الشيء الكثير عن العقائد الدينية السائدة فيه.

بينما يتضح أن التمدن اليوناني مدين لسورية ومصر كما يستدل من الأساطير اليونانية نفسها، «فسكروبس» المصري، قدم من مصر إلى اليونان حاملاً معه فنون وادي النيل وآدابه وحكمة كهنته، وبنى مدينة «سكروبيا» التي أضحت فيما بعد حصناً لمدينة «أثينا»، و«قدموس» السوري قدم هو الآخر من فينيقيا[58] إلى اليونان حاملاً له هبة حضارية لا تقدر بثمن، هي الحروف الهجائية، فضلاً عن صناعة بلاده. وبنى مدينة «طيبة» أو «تيبس» بينما وهبت أخته «أوربا» القادمة معه من كنعان اسمها إلى القارة التي لا تزال تعرف به، وقصة غرامها مع «زفس» رئيس آلهة اليونان وإنجابها منه عدداً من الآلهة اليونان، يشكل بحد ذاته دليلاً على أن الميراث الأدبي والديني الذي يزهو به الأوروبيون بمن فيهم اليونان، هو هبة سورية من هباتها الحضارية للعالم.

آلهة اليونان ذكور وإناث يتزعمهم «زفس» يلتئم شملهم في معبد «دلفي»: «هايديس» سلطان الأقاليم السفلى، «ديونيس» «إله الخمر»، «ايروس» «إله المحبة»، «ايريس» «إلهة السحب»، «نسمس» رسول «زفس» لمعاقبة الآثمين والطغاة في الأرض، إلاهات الشعر التسع، «عشتار» «الإلهة السورية» التي انتقلت إلى اليونان لتصبح «أفروديت» آلهة الجمال والحب، وسواهم وسواهن من آلهة وإلهات الرياح والحقول والموت والحياة.

لم يكن هؤلاء الآلهة بنظر اليونان سوى بشر، لكنهم بشر متفوقون

(58) فينيقيا هي التسمية التي أطلقها اليونان على بلاد الكنعانيين الذين سلكتوا الشاطئ السوري (المؤلف).

يسكنون «جبال الأولمب» ولا يفتأون يترددون إلى الأرض لإصلاح شؤون أهلها ويفصحون عن مقاصدهم بإشارات أو إيماءات أو إيحاءات ينقلها الإله «أبولو» إلى كاهن أو كاهنة، منها ماهو على شكل نصائح وحكم، ومنها ما هو رجم في الغيب أو تنبؤ بالمستقبل، فيتولى الكاهن أو الكاهنة تفسيرها للحاضرين، فينظمها هؤلاء شعراً وملاحم تُتَناقل على الألسن.

لم تلبث هذه الوثنية أن داخلها الكثير من المذاهب الفلسفية ومدارسها، وهو مايفسر مخاطبة «بولس» اليونانيين بلغة الفلسفة في دعوته لهم للإيمان بالمسيحية، وجنوح آباء الكنيسة الأوائل السوريين كمثل «تيوفيروس» و«ناتيانوس» و«تيوفيلوس» للرد على الفلاسفة اليونان وتسفيه إيمانهم الوثني(59). هذا بشأن الوثنية اليونانية، أما الوثنية الرومانية، فتعد وريثة لها، بالرغم من تغيير الأسماء وأحياناً الأدوار، فبعد استيلاء «رومة» على اليونان وامتزاج الرومان باليونانيين، أصبح آلهة اليونان شركاء آلهة رومة، «فزفس» رئيس الآلهة اليونان هو «جوبيتير» الإله الروماني و«فينوس» آلهة الجمال والحب الرومانية ليست سوى «أفروديت» اليونانية و«عطارد» الروماني ليس سوى «هرمس» اليوناني و«سيريس»، هو «ديميتر».. الاستثناء الوحيد أن الرومان ألّهوا أباطرتهم وهو مالم يفعله اليونان.

شيء آخر اشترك به اليونان والرومان في وثنيتهم، هو تأثرهم بالديانات السائدة في الشرق، «فإيزيس» و«إيزيريس» إلهتان مصريتان كانتا معروفتين على نطاق واسع في رومة، فقد ورد اسمهما في شعر

(59) يرجع في ذلك إلى الإنجيل أعمال الرسل وإلى «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص ٧٥ وما يليها للدكتور أسد رستم.

«طيبلس» وكتابات «بلوتارك» الرومانيين، كما عثر على تماثيل لهما في أحواض السين و«التيبر» و«الدانوب»، وكان للأم الآلهة العظمى المعروف عبادتها فيما بين النهرين جمهور من المتعبدين الرومان، ناهيك عن أن ديانة الأسرار المتعلقة بحياة الآلهة وسيرتهم وموتهم وصعودهم إلى الأبدية، كان لها سبيل إلى عقول كل من اليونان والرومان.

المعتقدات الفلسفية:

تصدرت «الفلسفة الغنوصية» سائر الفلسفات الأخرى التي واجهت المسيحية وحاولت احتواءها، وأضحت تعاليمها منذ مطلع القرن الأول الميلادي، أكثر التعاليم انتشاراً وأبعدها أثراً في سائر الديانات: اليهودية والوثنية والمسيحية، حتى ليذهب البعض أنها لا تزال حية ومفاهيمها وأفكارها لا تزال فاعلة في أديان معمول بها حتى الآن «كالمائدية» و«الدرزية» في سورية، و«الفالدية» في سويسرا و«الكثاري» في فرنسة[60].

«الغنوصية» مشتقة من العبارة اليونانية GNOSIS التي تعني المعرفة، لأن مذهبها قائم على اعتماد المعرفة سبيلاً للتوصل إلى إدراك الخلاص، وتعاليمها تدور حول ثنائية الروح والمادة DUALISM، فالروح في الإنسان صالحة لأنها قبس من الله، والجسد شرير لأنه مادة، والمادة من صنع إبليس، وهي تفرح بانعتاقها من سجنها الجسد لشوقها إلى لقاء المصدر الذي صدرت عنه وانبثقت منه.

وحتى لا نسترسل في دراسة وتحليل الفلسفة الغنوصية ونتناول نظرة فرقها وطوائفها الدينية العديدة، فإننا نكتفي بهذا القدر من التعريف بها،

(60) «الميثولبوجيا السورية» آرام ص 507 الدكتور وديع بشور.

لأن همنا منصرف بالحقيقة، إلى تبيان بعض جوانب رؤيتها الإيجابية المتعلقة بالإنجيل والتوراة وعلاقة الواحد منها بالآخر نفياً أو وجوباً، تاركين للآخرين ممن يرغبون بالتوسع للتعرف إليها، الرجوع إلى مصادرها وإلى المؤلفات والمراجع العديدة التي تناولتها بالدراسة والتحليل.

الواقع أنه لا يعرف الشيء الكثير عن نشأتها وإن كان التقليد المسيحي يرجعها إلى «سيمون الساحر» الذي عاش في سامرة فلسطين[61] وأنها انتقلت منها إلى مصر وعششت فيها. وأن «أوريجينوس» الفيلسوف الاسكندراني نفسه درس هذه الفلسفة على أحد رجالها السوريين بولس الانطاكي[62].

من تدقيق موقف أتباعها السوريين والمصريين من التوراة والإنجيل، تبين لنا أمر يستحق التوقف عنده، فبينما وقفت المدرسة الغنوصية المصرية من اليهودية موقفاً إيجابياً واعترفت «بأن للديانة اليهودية أهمية صالحة لتحرير الخير من الشر والروح من المادة» فإن المدرسة الغنوصية السورية وقفت ضد اليهودية والعهد القديم[63]، وكان من رجالها السوريين «بولس الانطاكي» و«باسيليوس» و«برديصان» الرهاوي.

بولس الانطاكي: المعروف «بالسيمساطي»، لا يعرف شيء كثير عنه قبل توليه أسقفية أنطاكية سوى أنه من سميساط وأنه كان رجلاً

(61) المرجع السابق ص 508 الإنجيل سفر الأعمال وتاريخ الكنيسة الأنطاكية الجزء الأول ص28 وما يليها الدكتور أسد رستم.

(62) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 63 الدكتور أسد رستم.

(63) «الميثولوجيا السورية» آرام ص 512 الدكتور وديع بشور.

لبقاً ماهراً وخطيباً بليغاً، فضلاً عن علاقته الوثيقة مع الملكة السورية «زنوبيا» التي جعلت منه موظفاً مالياً كبيراً في دولة تدمر[64].

وبصرف النظر عن الأوصاف والتهم التي ألصقها به خصومه من تكبر وغنى ومساكنة النساء وخروج عن تعاليم الكنيسة، فإن «بولس» وقف موقفاً قومياً مشرفاً بمواجهة الرومان، فساند بني قومه وقاوم كل من أيد رومة والحضارة اليونانية الرومانية وسفه نظرتهم إلى «زنوبيا» القائلة بأنها ملكة بربرية متطفلة على الحضارة تطفلاً، معتبراً إياها بطلة قومية ينبغي شد إزرها ومساندتها بمواجهة المستعمر الروماني.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن اليهود وقفوا من الصراع السوري الروماني، موقفاً معادياً للدولة السورية ومليكتها وآثروا حكم رومة البعيدة على حكم تدمر القريبة، بالرغم من عطف زنوبيا عليهم ومحاولاتها ضمهم إليها[65].

تمكن «بولس» من إنشاء حزب حوله من أبناء أبرشيته، وانشقت الكنيسة الأنطاكية على نفسها بين مؤيد له ولأفكاره وبين معاد لها، وخشيه خصومه ولم يتمكنوا منه إلا بعد سقوط زنوبيا وانكسارها أمام الرومان، فخلعه المجمع الإنطاكي الثالث المعقود عام 268م، ولا يعلم شيء عنه بعد هذا.

باسيليوس: وهو سوري الأصل، (القرن الثاني للميلاد) ارتحل إلى مصر، وكتب إنجيلاً وتعليقاً عليه يقع في 24 مجلداً سماه «التفسير»، تأثرت عقيدته بالغنوصية والأفلاطونية الحديثة[66].

(64) «كنيسة مدينة الله العظمى» الجزء الأول ص 120 وما يليها الدكتور أسد رستم.
(65) المرجع السابق ص 514.
(66) «الميثولوجيا السورية» ص 514 الدكتور وديع بشور.

برديصان الرهاوي (159 - 222)م: ويتألف اسمه من مقطعين «بار» السريانية و«ديصان» وهو نهر فوق مدينة «الرها» ولد قرب هذا النهر فتكنى به، آمن بالمسيحية وانتمى إلى الغنوصية، واشتهر بنظم التراتيل الدينية وتلحينها. وكتب مقالات كثيرة في الفلك نقل بعضها إلى اليونانية ويعزى إليه كتاب «حوار القدر» وهو من أقدم الكتب السريانية، و«شرائع البلدان» الذي أملاه على تلميذه «فيلبس»(67).

من أبرز ما دعا إليه أن الله لم يكلم موسى والأنبياء وأن العالم من صنع الكلمة (LOGOS). وأن هذا الصنع لا يكتمل إلا بعد تغلب قوى النور على بقايا الظلمة.. كما قال بأن «مريم» لم تلد جسداً قابلاً للموت، ولكن نفساً نيرة اتخذت شكلاً جسدياً. ومن هنا كان تأثيره على «المانوية».

هؤلاء الغنوصيون الأعلام وسواهم تلتقي آراؤهم على قواسم مشتركة وتختلف في التفاصيل والجزئيات، فهي مجمعة مثلاً على عدم وجود علاقة بين العهدين القديم والجديد وعلى ثنائية الكون DUALISM، فالروح في الإنسان هو من جوهر الله، كما أجمعوا على نكران «ناسوت المسيح» بأنه أكل وتألم ومات، مما قادهم إلى عملية نكران الصلب والوقوع في عقيدة التشبيه، فقد شبه للناس أنهم صلبوه وما صلبوه حقاً.

ويطول بنا الشرح إذا حاولنا استجلاء «الفلسفة الغنوصية» بكل أبعادها، حسبنا أن نؤكد فقط على تنبه أصحابها المبكر على خطورة تداخل المفاهيم والعقائد اليهودية بالتعاليم المسيحية والانزلاق نحو تهويدها. ولعل تعاليم «مرقيون» ابن اسقف «سينوب» على البحر الأسود خير شاهد على هذا الاتجاه، فقد كان أهم ما دعا إليه هو استحالة

(67) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 66 الدكتور أسد رستم.

التوفيق بين التوراة الإنجيل، موجباً التخير بين محبة المسيح التي لا نهاية لها وبين رفض إله إسرائيل وقوته اللامحدودة، مبيناً أن إله الناموس «يهوه» لا يمكن أن يكون هو نفسه إله الرحمة.

المخلص كان في نظره مظهراً من مظاهر الإله الحقيقي الصالح وقد خلص البشر بإظهاره حقيقة هذا الإله، بينما كان يهوه مثالاً للإله المنحط «يلدائيون» والمسمى «ديميورعوس»(68). بينما يقول الدكتور بشور إن «مرقيون» قطع المسيحية من جذورها التاريخية، ونحن نرى دينياً أنه ردها إلى جذورها ونقاها من أدران اليهودية وموبقاتها.

لقد انتشرت آراء «مرقيون» في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية وظلت متبعة في سورية ومصر والعربية وفارس وسواها من البلدان حتى القرن الرابع الميلادي، رغم قطع الكنيسة له واتهامه «بقرض الأناجيل»(69).

الموقف الروماني من المسيحية:

لم تعبأ السلطة الرومانية بادئ الأمر بالمسيحية معتبرة إياها فرقة دينية يهودية، فوقفت منها موقف عدم الاكتراث بها واللامبالاة بدعوتها، ولكن موقفها هذا ما لبث أن تطور إلى الاضطهاد والتنكيل بالمؤمنين بتعاليمها، عندما شعرت أو بالأحرى أشعرتها اليهودية بأن المسيحية هي تعاليم جديدة تتجاوز كل ما ألفه العالم الوثني واليهودية من معتقدات ومفاهيم بإثارتها حملة عدائية مسعورة على السيد المسيح وتعاليمه، متهمة إياه بالكفر والخروج على ديانة الآباء ونواميسهم، مما حدا بالحاكم الروماني «بيلاطس البنطي» أن يذعن لمشيئة اليهود، ويصدر عقوبة الموت صلباً بحق السيد المسيح مع إعلانه «براءته من دم هذا الصديق وإعلان

(68) «الميثولوجيا السورية» آرام ص 510 الدكتور وديع بشور.
(69) المرجع السابق ص 514.

اليهود دمه عليهم وعلى أبنائهم».

لم يتوقف الحقد اليهودي على المسيحية بعد استشهاد المسيح، بل شنوها حرباً شعواء على المسيحية وتعاليمها بالتواطؤ مع السلطات الرومانية، شملت سورية بأكملها، فحدث اضطهاد شديد، واستشهد نفر من المؤمنين على يد اليهود رجماً وقتلاً مما حمل العديد منهم على الهرب من فلسطين إلى فينيقيا وقبرص وأنطاكية والتبشير بالمسيحية فيها، وعندما قضى «تيطس» على ثورة اليهود ودمر الهيكل سنة 70 ب.م نال المسيحيون قسطاً من الاضطهاد والتنكيل، مع أن الخلاف بين المسيحيين والمسيحيين المتهودين كان على أشده.

في عهد «نيرون» تم صدور قانون يحرم التدين بالدين الجديد NON LICIT ESSE CHRISTIANOS وجاراه بذلك كل من «فيزبازيوس» و«تيطس» و«دميتيانوس» كما وافق عليه الامبراطور «تريانوس» 99 ب.م واستشهد في رومة وبعلبك عدد من المسيحيين.

في سنة 107 ب.م أثار اليهود الشعب على المسيحيين في مدن فلسطين، فوشى بعضهم بأسقف أورشليم الثاني وقالوا إنه مسيحي، فأمر «كلوديوس أنيكوس» «هيرودوس» حاكم فلسطين بتعذيبه وصلبه وهو شيخ طاعن في السن، كما استشهد «أغناطيوس» في رومة، وكذلك «تيوفيروس» وسواهم من السوريين المسيحيين الأوائل[70].

الأباطرة السوريون والمسيحية

لم تشهد الفترة الممتدة بين عامي 193م إلى 249م اضطهاداً للمسيحيين عامة والمسيحيين السوريين على وجه الخصوص، بفضل

(70) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» الجزء الأول ص 55 الدكتور أسد رستم.

السياسة الدينية التي سلكها الأباطرة السوريون الذين حكموا رومة بدءاً من «سبتيموس سفيروس» وإنتهاء «بفيليب السوري» الملقب بالعربي، بل على العكس تماماً، فقد تنفسوا في عهدهم الصعداء وشهدت الدعوة المسيحية انتشاراً لم يكن مقدراً لها أن تشهده، فيما لو ضيق هؤلاء عليها، أو مارسوا الاضطهاد التي مارسته الوثنية الرومانية المتحالفة مع اليهودية ضدها.

فمع أن «سبتيموس» كان وثنياً ومتزوجاً من وثنية، فإنه لم يتعرض للمسيحيين بأذى، بل قربهم إليه، ووقفوا إلى جانبه في نزاعه مع خصومه وفرحوا لنجاحه عندما سقطت بيزنطة بيده، وتدخل هو لحمايتهم من سخط الجماهير المتألبة عليهم عام 197م[71].

ولعل سبب هذا التفاهم، ليس كما يقول الدكتور رستم «عطف الغريب على الغريب»[72]، بل ارتباط القريب بالقريب، وإلا كيف يفسر إلحاقه، وهو الوثني، عدداً من المسيحيين السوريين في خدمته وإيكال تربية ابنه «كاراكالا» إلى أسرة مسيحية سورية، وتقبل المسح بالزيت المقدس على يد طبيب مسيحي[73]. من هنا، لسنا مع القائلين بأن الاضطهاد الخامس على المسيحيين قد وقع في عهد «سبتيموس»، فالواضح مما رواه الدكتور رستم أن التحريم الذي أصدره «سبتيموس» لم يتناول المسيحيين، بل تناول النصارى المتهودين الذين يختتنون غير اليهود من الرومان المتنصرين، فأوجب على من يختن رومانياً مصادرة أملاكه ومعاقبة بالنفي من يختن رقيقاً بالموت.

(71) المرجع السابق ص 87.
(72) المرجع السابق ص 87.
(73) المرجع السابق ص 87.

الاختتان تقليد ديني يهودي، رفضته المسيحية ورفضه بولس الرسول قبل سبتيموس، فلماذا يحمله الدكتور رستم وزراً ويتهمه باضطهاد المسيحيين، ولم يعرف عنه أنه أصدر قانوناً يحرم المسيحية كما فعل خلفاؤه من الرومان.

لقد تابع أبناء الكنيسة الأنطاكية في عهد «سبتيموس» نشاطهم بالدعوة إلى المسيحية، وظهر من أبناء قيصرية فلسطين من حمل الإنجيل إلى لبنان ليحارب الوثنية فيه. وفي عهده تقبل «أبجر» التاسع ملك الرها المسيحية، ووجه «برديصان» الرهاوي برسالة إليه يدافع فيها عن دين المسيح.. فكيف يمكن أن يعزى إليه اضطهاد المسيحيين؟..

أما ابنه «كاراكالا» فقد عرف عنه محبته الآلهة السوريين وإنجازه «معبد هيلوبوليس بعل» في عهده، كما عرف أن عدداً من المسيحيين السوريين التحقوا بحاشيته وقاموا بمهام كبيرة لصالحه، ومنهم «أوريليوس بورسنيوس» ولم يعرف عنه أنه آذى مسيحياً أو اتخذ أي إجراء ضد المسيحيين، بالرغم من أن مستشاره القاضي الفقيه السوري الكبير «ألبيان» أورد بعض الأحكام المناهضة للمسيحية في مؤلفه DE OFFICO PROCONSULIS.

لقد أحب «كاراكالا» سورية، وزار أنطاكية عام 215م واستقبل فيها استقبالاً حافلاً، بينما سخر منه ومن أمه المصريون فغادر أنطاكية إلى الإسكندرية واقتص منهم[74].

تولى الحكم بعد مقتل «كاراكالا» «مكرينوس» فلم يلق رضى أشراف رومة لعدم انتسابه لأسرة «سبتيموس مارسيليوس» من زوجه السورية «جوليا سومياس» ابنة شقيقة «جوليا دومنا» المدعوم من الفرقة السورية، ففر «مكرينوس» من سورية وألقى القبض عليه وقتل، وتولى الإمبراطورية

(74) المرجع السابق الجزء الأول ص 89.

«باسيانوس» بالرغم من حداثة سنه، إذ لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

أدخل «باسيانوس» عبادة الشمس الحمصية إلى رومة كما أدخل إليها حجرها الأسود وتسمى إلهه «إيلاغابولاس»، ولكن موقفه من المسيحيين لم يتغير عن موقف سلفيه، فلم يعرف عنه أنه آذى المسيحيين أو اضطهدهم[75].

وكان ما كان من تهتك «باسيانوس» وانصرافه عن شؤون الحكم وتخلي جدته «جوليا مايسا» عن دعمه لدى الفرقة السورية وتولي ابن خالته، «جوليا ماميا»، «الكسندروس سفيروس» الحكم، المعروف عنه بأنه كان شاباً عالي الثقافة مهذباً لطيفاً يجيد اليونانية واللاتينية ويتذوق أدبهما، فلما تولى الحكم أعاد الحجر الأسود إلى حمص وأظهر تعلقه بآلهة رومة، وأولى احتراماً كبيراً لشعرائها وفلاسفتها. أما عن علاقته بالمسيحيين فلم يعرف عنه أنه آذاهم أو لاحقهم أو ضيق عليهم، بل على العكس، فقد أذن لهم بالبقاء في رومة. وأما عن اهتمام جدته «جوليا مايسا» بهم، فهذا معروف من استدعائها علماً من أعلامهم هو الفيلسوف «أوريجينوس الاسكندري» لتسمع منه شروحاً تتعلق بالأديان، إلا أنه من المستبعد أن تكون آمنت بالمسيحية بعد هذا اللقاء[76].

إثر مقتل الاسكندر تولى «جوليوس فيروس ماكسيمينوس» الروماني الإمبراطورية، فعاود التنكيل والاضطهاد بالمسيحيين، ويبدو أن عطف سلفه عليهم ووجود نفر كبير منهم في بلاطه، أوغر صدره فخص رؤساءهم

(75) المرجع السابق ص 91.
(76) المرجع السابق ص 93.

بعذاب أليم وألقى بأعداد كبيرة منهم في السجون. أما «أوريجنيوس» فقد أفلت من قبضته وظل حراً بدليل أن تلميذه الشهير «غريغوريوس العجائبي» أفاد في خطاب دبجه سنة 238م أنه تابع دراسته على أستاذه «أوريجنيوس» خمس سنوات متتالية في «قيصرية فلسطين»[77].

أثقل «ماكسيمينوس» كاهل الشعب بالضرائب وصادر عماله أملاك الأغنياء وكنوز الهياكل، فأعلن جنوده الانقلاب عليه سنة 237 وولوا «غودريانوس الأول» إمبراطوراً، وكان هذا من أشراف رومة وقد بلغ الثمانين من عمره فشارك ابنه «غوياس الثاني» في الحكم، فثار الجند عليه وقتلوه، وتدخل مجلس الشيوخ وانتخب حفيده «غودريانوس الثالث» إمبراطوراً وكان في الثالثة عشرة من عمره، فأشرك قائداً سورياً معه في الحكم هو «فيليب السوري» الملقب «بالعربي» ثم لم يلبث أن اغتيل بيد قائد حرسه، فتولى «فيليب» السدة الإمبراطورية وبتوليه عاد الحكم السوري إلى رومة، وعاد معه التسامح مع المسيحيين والعطف عليهم، وفاق فيليب جميع من سبقه في حسن علاقاته بهم، حتى أنه وظف عدداً كبيراً منهم لديه وجعل من بعض أساقفة إفريقية ولاة إمبراطوريين[78]. حتى ذهب بعض المؤرخين إلى أن «فيليب» كان أول الأباطرة المسيحيين. ومن الصواب الذهاب مع «يوحنا الذهبي الفم» أنه أخضع للتكفير الذي فرضه عليه أسقف أنطاكية، فوقف في كنيستها مع زوجته متبرئاً من مقتل «غودرينوس الثالث»[79].

(77) المرجع السابق ص 94.

(78) المرجع السابق ص 97.

(79) المرجع السابق ص 198.

وبمقتل «فيليب» عام 249م، تم انتقال السلطة من يد الأباطرة السوريين إلى الأباطرة الرومان، اجتاح العالم الروماني الوثني على الأثر حقد عارم على المسيحية، وأعلن الأباطرة الرومان حرباً لا هوادة فيها على المؤمنين بالمسيح وعلى كل من يرفض منهم السجود لآلهة الآباء والأجداد، واستشهد كثيرون بعد أن لقوا عذابات وآلاماً عز نظيرها.

فقد أصدر «داقيوس» عام 250م مرسوماً يقضي بتحريم المعتقد المسيحي وتعذيب المؤمنين به حتى الموت ومصادرة البيع والكنائس والمدافن، فلم تنج فئة أو جهة أو حتى منطقة في الشرق أو في الغرب من الملاحقة والاضطهاد. ففي أنطاكية استشهد أسقفها الشهير «بايولا» وفي أورشليم أسقفها «خريستوفوروس» وفي حمص القديس «إليان الحمصي» بعد أن سمّرت يداه ورجلاه على الصليب وزج به في مغارة خارج حمص حتى فاضت روحه. أما في الغرب فقد استشهد أسقف رومة و«سكتوس القرطاجي» وسواهم الكثيرون.

كان من الطبيعي أن يكون لهذه الإجراءات آثارها السلبية على الكنيسة المسيحية وأن يفت في عضدها الضعف والانشقاق وأن يرتد عن العقيدة نفر من أتباعها وأن يدب الفساد في صفوف رجالها، وأن يكون للظروف السياسية التي مرت بالإمبراطورية في تلك الحقبة نتائجها وانعكاساتها الخطيرة على المسيحية. ولعل من أبرز تلك النتائج والمظاهر السلبية بوادر خلافات بين كنيستي أنطاكية ورومة وخروج عدد من المتواطئين مع السلطات الرومانية على التعاليم المسيحية ومؤسساتها.

قد يكون من المفيد هنا أن نشير إلى موقف الدولة السورية التدمرية

بزعامة ملكتها «زنوبيا» من الكنيسة المسيحية بعد أن اتسع سلطان ملكها حتى شمل سورية ومصر وقسماً من آسية الوسطى وباتت تهدد رومة بإعلان استقلالها رسمياً عنها عام 217م.

لقد توثقت علاقة تدمر بالكنيسة الأنطاكية حتى أن أسقفها «بولس السميساطي» أصبح موظفاً مالياً لديها، بل أضحى ممثلاً لملكة تدمر في أنطاكية، كما أسلفنا[80].

كان من الطبيعي أن يرى المسيحيون في «زنوبيا» زعيمة قومية تحاول تحرير سورية من حكم رومة وتوحيد أجزائها، فالتفوا حولها وأيدوها وقاوموا كل من يؤيد الحضارة اليونانية الرومانية.. ومن المفارقة العجيبة لدى المؤرخين، ومن الأمور المفهومة لدينا، أن يظاهر اليهود خصومهم الرومان على السوريين، وأن يكون موقف اليهود المضطهدين من رومة، مؤيداً لسلطاتها ومعارضاً للدولة السورية.. فالصراع القومي السوري اليهودي صراع تاريخي لم يتوقف لحظة ولم يفتر إلا في عهد انحطاط السوريين وفقدان سيادتهم وتراجعهم القومي وجهلهم حقيقة حضارتهم وحقيقة وجودهم.

وإذا كان آباء الكنيسة قد أخذوا على «بولس السميساطي» خروجه على بعض تعاليمها ومبادئها، فهذا لا يغير شيئاً من رؤيتنا القومية له باعتباره شايع الدولة السورية الناشئة التي أخذت على عاتقها مهمة تحرير سورية وتوحيدها، وقاوم النظرة لهذه الدولة، على أنها دولة بربرية متطفلة على الحضارة[81].

بانكسار «زنوبيا» أمام الرومان عام 271م، عملت المجامع الأنطاكية

(80) المرجع السابق ص 110.

(81) المرجع السابق ص 122.

الثلاثة، وبدعم من السلطات الرومانية، على خلع «بولس» وكف يده عن ممارسة سلطاته الدينية والزمنية وتنصيب أسقف مطاوع له اسمه «تيماوس»، إلا أنها عجزت لزمن طويل من إزالة أفكاره وتوجهاته، ويرى العلامة «لوفس» الألماني أن «البوليسيين» ظلوا منتظمين في كنيسة مستقلة في أنطاكية حتى مجمع «نيقية» برعاية أسقف كان يدعى «لوقيانوس» وليس مستبعداً أن يكون «لوقيانوس السميساطي» المعلم الانطاكي الشهير الذي أتينا على بعض مآثره سابقاً. الظاهرة التي استوقفتنا طويلاً ونحن نتابع تاريخ المسيحية وكنيستها، أن اضطهاد المسيحيين كان يقع ويشتد في كل مرة يتولى فيها السلطة إمبراطور روماني، وتخف حدته عندما يتولى الحكم حاكم سوري ولو وثنياً، أو تنشأ في سورية دولة تبغي الاستقلال عن رومة.

إن تكرار هذه الظاهرة يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الرومان واليونان واليهود، حاربوا المسيحية ليس فقط لأنها نقيض وثنيتهم، بل بحكم نظرتهم إليها على أنها ديانة سورية ترمي إلى تدمير حضارتهم وتراثهم القومي. أما استمساك السوريين بالمسيحية والموت في سبيلها، فعائد، ليس فقط لإيمانهم بتعاليمها. بل لأنها أيضاً كانت تمثل أملهم القومي الوحيد في الخلاص من تعسف رومة وحكمها الجائر ووثنيتها البربرية..

وهكذا ما أن أفلت شمس الدولة السورية التدمرية، حتى عاودت رومة اضطهادها المربع في عهد «ديوقليتانيوس» و«مكسيمينوس» الفاسق، بين عامي 303 و312م، اللذين أطلقا أيدي معاونيهما في تهديم الكنائس وإتلاف الكتب المسيحية وكتب الصلاة ومنع صلاة الجماعة وتحريم المسيحيين الأشراف من التمتع بامتياز طبقتهم والآخرين من حق الدفاع عن حقوقهم، واعتبارهم أرقاء محرومين من الحقوق المدنية، وإطلاق

سراح من يكرم منهم آلهة رومة ويسجد لها، وبتشديد العقاب على كل من يرفض ذلك، فهلك نفر كبير في شتى أنحاء الإمبراطورية، وتناقل آباء الكنيسة أخبار العذارى السبع اللواتي قضين في «غلاطية» لأجل المسيح، وتفنن الظالمين بأساليب التعذيب بإدخال القصب الحاد تحت أظافر المؤمنين وبصب الرصاص المذوب عليهم، وبمقتل نفر كبير من الأساقفة والمسيحيين السوريين وعرضهم في ملاعب الوحوش في أنطاكية، وبارتداد نفر من المسيحيين بعامل التنكيل والحرق والقتل والملاحقة.

ولابد من أن نذكر من الشهداء هنا «ابفيانوس» الذي درس الفقه في مدرسة بيروت واقتبس عن «بمفيلوس»[82] الكمال المسيحي، وبالفتاتين السوريتين «برنيقية» و«بروسنوكي» اللتين هربتا من أنطاكية إلى «الرها»، فلحق بهما زوجاهما مع بعض الجنود الرومان، فألقوا القبض عليهما، وفي الطريق غافلتا الجند وألقيتا بنفسهما في الفرات، مما حمل «الذهبي الفم» على القول: «لقد أرادتا الفوز بالغنائم قبل المعركة واختطاف إكليل الغار قبل الجهاد ونوال الأوسمة قبل التعذيب»[83]. وفي الوقت نفسه نالت «تيودوسية الصورية» شرف الاستشهاد في قيصرية فلسطين بعد أن مشط الجند جسدها بأمشاط حديدية. هذا فضلاً عن استشهاد «بولس الغزاوي» الذي وشى به اليهود والسامريون، فطلب قبل موته الغفران لهم ولجلاديه.. و«لوقيانوس المعلم الإنطاكي» الذي زج به في السجن وعذب وجلد ووضع على الصاجات الحامية وتحت العجلات وقدم للأسود الضارية،

(82) وهو فيلسوف سوري ولد في بيروت ودرس في مدرستها خلف أوريجينوس ودافع عن رأيه وأنشأ مدرسة في قيصرية فلسطين درس فيها اللاهوت وجمع آثاره وألقي القبض عليه وزج في السجن واستشهد عام 307م (المؤلف).

(83) المرجع السابق ص 176.

وفاضت روحه وهو يقول «أنا مسيحي»[84]، ولم يتوقف الاضطهاد إلى عام 313م، بإصدار قسطنطين «براءة ميلان» التي قضت بعدم التعرض لحرية المعتقد الديني وعدم منع الناس من الإيمان بالمسيحية أو بأي دين آخر..

أهمية هذا التشريع الجديد تكمن في الاعتراف بشرعية الديانة المسيحية ووقوفها على قدم المساواة مع سائر الأديان الأخرى القديمة الوثنية واليهودية.

ويتحول قسطنطين عن الوثنية إلى المسيحية واعتبارها الديانة الرسمية للدولة، «تتخلى آلهة الرومان عن مكانتها لآلهة سورية وتنهزم الوثنية اليونانية التي سيطرت على الفكر الروماني لتسيطر سورية على قلوبهم»[85].

تشريعات قسطنطين:

أصدر قسطنطين في أواخر عام 324م عدداً من التشريعات أنهت عشرين سنة من الاضطهاد الديني والتنكيل بالمسيحيين وثبّتت حرية المعتقد وأعادت ما صادرته الدولة من ممتلكات وأوقاف إلى الكنيسة.

وكان قد أصدر عام 318م تشريعات أعطى بموجبها الأساقفة قدراً من السلطة القضائية وأجاز للمتخاصمين الترافع أمامهم واعتبر الحكم الصادر عن الأسقف قطعياً غير قابل لأي طريق من طرق المراجعة، كما أصدر قوانين أخرى تناولت الحقوق الشخصية فأبطل قوانين «أغسطس قيصر» التي تحرم العزوبة، ونصت على عقوبات قاسية بحق كل من يرتكب أفعال الخطف والاغتصاب، وحرمت اعتداء المربي

(84) المرجع السابق ص 179.

(85) «كنيسة مدينة الله» أنطاكية العظمى ص 182 د. أسد رستم.

على عفاف تلميذته ومضاجعة السيدة رفيقها وزنى المخدوم بخادمه وملاحقة التسري وصعبت الطلاق ومنعت الأسياد من إساءة معاملة رقيقهم والآباء من معاملة أولادهم بقسوة وحثت على العناية بالأرملة واليتيم[86].

(86) المرجع السابق ص 183.

المسيحية المتهودة

التعريف بالمسيحية المتهودة:

المسيحية المتهودة، كما تدلّ عليها تسميتها، هي مسيحية من نوع خاص، تعتبر الديانة اليهودية أصلاً لها، فهي - أي اليهودية - مرجعها. منها انبثقت واشتقّت، وعنها أخذت، ومنها استلهمت وعلّمت، فلكي تكون مسيحياً حقاً، لابدَّ أن تكون يهودياً أولاً ملتزماً بالناموس اليهودي وشرعة موسى، حافظاً للسبت، عاملاً بالختان، ممارساً الطقوس اليهودية من مأكل ومشرب ومعاملات، مقدّساً ما يقدّسه اليهود ومنجّساً ما ينجّسونه وآخذاً بما يأخذون به.

أما إيمانهم بيسوع وتعاليمه الذي به وبظهوره وبشارته كان العهد الجديد، فهو إيمان من نوع خاص أيضاً، إذ يقتصر على اعتباره المسيح الموعود به بالتوراة والذي انتظره اليهود، وليس عليهم أن ينتظروا آخر، إلا أن هذا المسيح هو يهودي أصلاً وفرعاً.. وعليه فإن المسيحية المتهوّدة تمثل ولا شك ارتداداً عن الإيمان المسيحي الأصلي، والتعاليم المسيحية الأصلية التي بشّر بها يسوع، ورجوعاً بالمسيحية إلى اليهودية، وطقوسها ومعتقداتها التي حاربها يسوع حرباً لا هوادة فيها. من هنا كان خطرها ومن هنا كان تأثيرها وأثرها في المسيحية[87].

وواقع الحال أن ظهورها، والصورة التي ظهرت بها، يعود إلى أن التلاميذ والرسل الذين آمنوا بيسوع مسيحاً ورسولاً ومخلّصاً، كان

(87) مؤلفنا «مآثر سورية في العصر الروماني» ص 16.

إيمانهم به مختلطاً باليهودية، وتمّ من خلالها، فهو يمثّل عجزاً وقصوراً من التلاميذ عن تمثّل واستيعاب البعد الإنساني والمناقبي والفلسفي للتعاليم المسيحية، فبقيت اليهودية فاعلة في إيمانهم متحكمة بنظرتهم وسلوكهم، يشهد بذلك ما يلي:

أولاً: أمثلة وأقوال رواها الإنجيليون زاعمين صدورها عن يسوع، يصحّ أن تعبِّرَ عن يهودية عالقة في أذهان رواتها، ولا يعقل ولا يصحّ أن تكون صدرت عن يسوع، لسبب بسيط، هو تناقضها مع تعاليمه ورسالته وأخلاقه ومناقبه.

ثانياً: مسيحيون كانوا إلى اليهودية أقرب منهم إلى التعليم المسيحي.

ثالثاً: إرجاع نسب يسوع إلى آباء يهود (متى ولوقا) يختلف عند الواحد منها عن الآخر، ثم إصرار عجيب على تسميته «ابن داود» مع رفض صريح لهذه التسمية من قبله واعتبار نفسه «ابن الإنسان» فقط[88].

رابعاً: أحداث بارزة تفجّرت منذ عهد المسيحية الأول بين الرّسل تدلّ على مدى فعل وتأثير اليهودية بالمسيحية وتعليمها، وصراعها الواضح مع المسيحية المتهوّدة المتمثلة «بيعقوب»[89]. ومسيحيي أورشليم من أصل يهودي من جهة، وبين المسيحية الأصلية التي يمثلها بولس ومسيحيو الأمم

(88) انجيل لوقا 20: 14 و41: 44 ومتى: 22: 41 - 46 ومرقس 12: 35 - 37

(89) يعقوب: هو «أخو» الرب وأخو سمعان ويوسي ويهوذا وقد جاء في التقليد أنه عرف بالتقوى والالتزام بالناموس وأنه ليس القميص والجبة والعمامة ووضع الصحيفة الذهبية على عمامته ودخل قدس الأقداس.. وأنه امتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر وتعبد وأكثر من السجود ولم يحلق رأسه ولم يحتذ حذاء.. وأنه انتخب أسقفاً على أورشليم في اليوم الأول من الصعود واستشهد عام 62 ميلادية (كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى) ص 42 و43 الدكتور أسد رستم.

من جهة أخرى، وانعقاد المؤتمر المسيحي الأول عام 43م في أورشليم لحسم النزاع المعتقدي بين الفريقين.

عوامل بقائها وانتشارها:

آ ـ جنوح بعض المعتقدات المسيحية كالبروتستنتية للدعوة إلى التمسك بالتوراة وحرفيتها واعتبارها، كالمسيحية المتهوّدة، نصوص التوراة جزءاً لا ينفصل عن الإيمان المسيحي، ومع أن إحدى فرقها «الإنجيليون EVANGILIST «توحي نسبتها اعتمادهم نصوص الإنجيل دون النصوص التوراتية، إلا أن هؤلاء كان شأنهم شأن الفرق البروتستنتية الأخرى التي ظهرت ونمت وترعرعت في الولايات المتحدة الأميركية خاصة «كالبيورتانية» و«البرسبيتيرية» و«المعمدانية» و«الميتوديسنية» و«السبتية» و«شهود يهوه» و«يهود من أجل المسيح» وسواهم، بالغت في تهوّدها، حتى أن خطابها الديني والسياسي لا يختلف في شيء عن التوجّه اليهودي، وحتى أنها انحازت وتحالفت مع الصهيونية اليهودية وباتت تعرف «بالمسيحية المتصهينة» ومن زعمائها المعروفين القسيسان: «فلويل» و«باترسون».

ب ـ إنحراف الفاتيكان عن موقعه التقليدي الرافض اعتبار أسفار التوراة جزءاً من الإيمان المسيحي وتحوّله إلى اعتبارها كذلك حيث باتت تتلى في صلواتها على أنها «كلام الله» قبل تلاوة رسائل «بولس» والإنجيل المقدس، بل واتخاذه مواقف أخرى تعبّر عن مدى النفوذ اليهودي المتعاظم في أروقة الفاتكيان وبين رجالاته البارزين، لعل أهمّها وأشدّها خطورة «الإعلان البابوي» القاضي «بتبرئة اليهود من صلب المسيح».

جـ - عدم خلوّ الصلوات في جميع الكنائس المسيحية بدون استثناء من ترديد قراءات وتراتيل وصلوات تشير إلى إسرائيل واليهود وأنبيائهم.

وهكذا أصبحت التوراة بين ليلة وضحاها، ليست فقط جزءاً من الكتاب المقدس، بل تجاوزت ذلك إلى اعتبار الـ BIBLE (التوراة) الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

وهو انتصار ولاشك للتهوّد المسيحي على المسيحية الرسولية الأصلية، مع أن إلحاق التوراة بالانجيل كان المقصود به تأييد ألوهية المسيح وصحة مجيئه موعوداً به في النبوءات فقط.

وتدليلاً على صحة جميع ماأشرنا إليه فإننا نورد الأمثلة والوقائع التالية:

أولاً - عن المرويات والأقوال التي رواها الإنجيليون ونسبوها إلى يسوع، نستشهد بمثال «المرأة الكنعانية» التي أتت تلتمس من يسوع شفاء ابنتها ومثال سؤال التلاميذ يسوع «متى سيردّ الملك لإسرائيل»..

- يروي الإنجيلي «متى» في إنجيله ما يلي: «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم تصرخ إليه قائلة: ارحمني يا سيّد، يا «ابن داود»، ابنتي مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة، فتقدموا تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالّة»، فأتت وسجدت له قائلة:

«يا سيّد أعنّي»، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب، فقالت له: نعم يا سيّد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذ أجاب وقال لها: يا امرأة

عظيم إيمانك، ليكن لك ما تريدين»، فشفيت ابنتها من تلك الساعة[90].

هذه الرواية التي انفرد بروايتها متى الإنجيلي، ولم ترد في الأناجيل الأخرى بالرغم من زعمه بأن التلاميذ كانوا كلّهم برفقة يسوع، وفي مشهد مأساوي لا يمكن أن يرتضيه من أرسل من عند الله.

امرأة كنعانية، ابنتها مصابة بالجنون، مؤمنة بقدرة يسوع على شفائها، تتوسّل إليه راكعة أمامه أن يرحمها ويشفي ابنتها، يسوع يرفض بادئ الأمر لسببين: أولهما، أنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وثانيهما، أنه ليس حسناً، أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب (المقصود طبعاً الكنعانيون)..

هذا الموقف الذي يزعم «متى» أن المسيح وقفه من المرأة الكنعانية والأقوال المنسوبة إليه، يستحيل بالمطلق أن يقفه أو تصدر عنه لسببين أيضاً:

1 ـ لتناقضها مع رسالته السمحاء التي لم تكن تميّز بين الناس على أساس الانتماء الإثني والديني، فهو قد أتى لخلاص بني الإنسان، أي إنسان، ولم يأت فقط لخراف بني إسرائيل الضالة.

رسالته أتت لتمحو الضلال من الأرض، ومنه ضلال «بني إسرائيل» الغارقين بعنصريتهم وأحقادهم وباطلهم ورفضهم الآخر حتى اليوم. لقد أتى ليكون المثال والقدوة في المحبة والغفران والانتصار للحق ومحاربة الباطل.. هذه دعوته، كل دعوته..

2 ـ الكنعانيون لم يكونوا كلاباً، كانوا شعباً حياً متفوقاً عريقاً في

(90) إنجيل متى الإصحاح الخامس عشر من 21 إلى 28 ـ 64.

حضارته، بينما كان اليهود بدواً متبدّين متحجّرين على معتقدات باطلة، استولوا على فلسطين حرباً، بعد مقاومة شرسة من الكنعانيين وبسببها حقد اليهود عليهم ونعتوهم «بالكلاب».. لقد انتحل اليهود من الكنعانيين شريعتهم وتعلّموا منهم مالا يعلمونه.. يسوع يعرف ولا شك كل هذا ويعرف فوق هذا كيف يكون هو على درجة عالية من الخلق المتسامي في الأقوال والأفعال، فلماذا يريد له «متى» أن يكون «حاخاماً» تلمودياً وليس «ابن الإنسان» الذي به أتت النعمة ومنه تعلّمت الدنيا بأسرها المثل والمناقب الرفيعة.

ويأتي جواب الكنعانية للأقوال المنسوبة زوراً ليسوع، بمستوى حضارتها، جواباً محرجاً، فلم يجد بدّاً من الاستجابة لها ولتوسّلها، فشفى ابنتها وشهد لها بعظيم إيمانها..

مثال آخر دالٌّ على انشداد عقول التلاميذ ومن معهم من الرسل إلى اليهودية وما ترمي إليه من تحقيق «أمجادها» بواسطة «مسيح» ظنوه مسيحهم الموعود، فإذا به مسيح العالم..

ورد في «أعمال الرسل»: أما هم المجتمعون (وهنا هم التلاميذ والرّسل الآخرون)، فسألوه قائلين: «يا ربّ، هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل»، فقال لهم: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الأب في سلطانه. لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض»[91].

هذا يؤكّد، بما لا يترك مجالاً للأخذ والردّ، قصور عقل التلاميذ عن فهم الرسالة اليسوعية وبعدَيْها المناقبي والإنساني المسكوني، واقتصار

(91) الانجيل المقدس أعمال الرسل الإصحاح الأول: 6: 7: 8.

فهمهم على الشأن التوراتي والتطلّعات اليهودية الهادفة إلى ردّ الملك الضائع لبني إسرائيل، ومع أن يسوع لم ينكر عليهم سؤالهم، هذا إذا صحّت الرواية، فجعل الزمن والوقت من اختصاص الله وحده، وحاول صرف أنظارهم عن تطلّعاتهم الماديّة إلى القوة الروحية التي سيحصلون عليها متى حلّ الروح القدس عليهم، ليكونوا شهوداً له في «اليهودية» و«السامرة» وإلى أقصى الأرض.

ثانياً - المتهوّدون المسيحيون الأوائل بمواجهة المسيحية الأنطاكية:

لاشك أن «يعقوب» يعتبر طليعة المتهوّدين المسيحيين الأوائل، فقد دعا إلى إقامة «التوراة» و«الإنجيل» معاً، واعتبار المسيحي من كان يهودياً أولاً مختتناً، حافظاً الأعياد اليهودية مقدّساً السبت ملتزماً بالناموس اليهودي، وعرف عنه أنه لبس القميص والجبّة والعمامة ووضع الصحيفة ودخل قدس الأقداس وامتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر وأنه تعبّد وأكثر من السجود ولم يحلق رأسه ولم ينتعل حذاءً، وأنه انتخب، بالرغم من هذا، أسقفاً على أورشليم في اليوم الأول من الصعود واستشهد عام 62م[92].

«بطرس» وقف من المسألة في منزلة بين المنزلتين، فلا هو أيد «بولس» وبشارته إلى الأمم، ولا هو جاهر بعدائه للتهود، مما أدى إلى مواجهة حادّة بينهما[93].

يروي بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ما يلي: لما أتى إلى إنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً، فهو، قبلما أتى قوم من عند يعقوب، كان يأكل مع الأمم[94]، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من

(92) «كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى» ص 42 و43. د. أسد رستم.

(93) المرجع السابق ص 43.

(94) الأكل من غير اليهود يعتبر عندهم تنبسا.

الذين هم من الختان، فلما رأيت أنه لم يسلك باستقامة، حسب حق الإنجيل، قلت لبطرس قدام الجميع، إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا، الإنسان لا يبّرر بإعمال الناموس بل بالإيمان بيسوع المسيح(95)...

يتضح من ذلك أن «بولس» يمثل المسيحية الخالصة المبترئة من اليهودية بل كان رسولها والمبشر بها بين الأمم، بخلاف «يعقوب» المتهود و«بطرس» الممالئ أحياناً «بولس» وأحياناً المسيحيين المتهودين من أشياع وأتباع «يعقوب».

أمام هذا الخلاف العقائدي المستحكم، ثم الاحتكام إلى التلاميذ المقيمين في أورشليم، فانعقد مجمع فيها عام 43م للبتّ في أمر الإيمان وحسم الجدل حوله، ولكن المجتمعين خرجوا بتسوية أبقت على الخلاف قائماً ولم تحسم المشكلة، إذ تم إعفاء المؤمنين من أصل غير يهودي (من الأمم) من الالتزام بناموس موسى وحثّهم على الامتناع عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم، بينما استمر المسيحيون من أصل يهودي على التمسك بالشريعة الموسوية، وائتمن «بولس» على إنجيل القلف، وائتمن بطرس(96) على «إنجيل الختان»(97)، وهكذا دُعِيَ المؤمنون بالمسيح

(95) الإنجيل المقدس من رسالة بولس إلى أهل غرطية الإصحاح الثاني: «حتى 6».

(96) بولس: يهودي من طرسوس أم أورشليم ودرس الشريعة اليهودية على معلمها غملائيل وأصبح من الحزب الفريسي وكان أشد مضطهدي المسيحية. قصد دمشق لملاحقة المسيحيين الهاربين إليها آمن بالمسيحية بعد أن ظهر له يسوع في طريقه إلى دمشق فنادى بالمسيح مخلصاً ورفض الناموس اليهودي والعمل به. لاحقه اليهود والمسيحيون المتهودون وتآمروا عليه. اشتهر برسائله الداعية إلى المسيحية الخالصة واستشهد في رومة عام 67م.

(97) كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى «الجزء الأول ص49».

المبشرون بإنجيله المعتمدون، باسمه من الإنطاكيين السوريين، واليونان المقيمين في إنطاكية مسيحيين، بينما دعي الذين آمنوا من اليهود بالمسيح واستمروا على التزامهم بالشريعة الموسوية «نصارى» نسبة إلى «يسوع الناصري»...

فلم يباركوا «إنجيل بولس» وأتّباعَه في التبشير بين الأمم.. والغريب المستغرب أنهم لم يقفوا عند هذا الحدّ من الاختلاف، بل لاحقوا «بولس» في آسية الصغرى وبلاد اليونان مبينين خطأه موجبين الاختتان، وحفظ السبت وما شاكل من فرائض الناموس، وعظم أمرهم وخشي بولس سوء العاقبة، فردّ عليهم برسائل شتى تعبر بالفعل عن الإيمان المسيحي الصحيح.

ولكن خطر التهود والمتهودين لم يتوقف عند هذا الحد، بل عمد إمعاناً في تخريب التعاليم المسيحية وتهويدها، إلى إدخال بعض الطقوس والأعياد اليهودية، وتحريم بعض المآكل والحض على عبادة الملائكة، وبدع وهرطقات أخرى مما لا يفسح المجال لذكره.

وليس أدل على خطورة المسيحية المتهودة، على المسيحية في عهدها الأول من أنها استطاعت أن تقيم لها كنيسة في إنطاكية تولاها «أفوذيوس»، بينما تولى رئاسة الكنيسة الإنطاكية «أغناطيوس تيوفيروس» السوري الأصل الذي وحد الكنيستين وأخذ على نفسه الدعوة للتعاليم المسيحية الأصلية DEPOSITUM FEDEI وإلى إقامة كنيسة جامعة للعالم أجمع، وكان أول من استعمل كملة «كاثوليكي» إشارة إلى هذه الكنيسة وتوكيداً للبعد المسكوني للمسيحية، واستشهد عام ١٠٧م مردداً القول: «أشكرك يا رب لأنك

منحتني حُبّاً كاملاً وشرفتني بالقيود التي شرفّت بها بولس»[98].

إرجاع نسب يسوع إلى «آباء يهود»:

لم يكن المسيح يهودياً ولم يكن له «آباء يهود» بل كان سوري البيئة يتكلم ويخاطب الناس بالسريانية، وهو نفسه رفض أن يدعى «ابن داود»، فقال: «كيف يقولون إن المسيح هو ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي، أجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطناً لقدميك، فإذا كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه»[99] . بهذا القول قطع المسيح كل سبيل للقول إنه كان يهودياً من نسل داود، فلا يصح أن يقال إن المسيح كان يهودياً، فهو ابن البيئة السورية[100].

والغريب المستغرب أن يناقض «متى» و«لوقا» قول السيد المسيح الذي أورداه في إنجيليهما فيرجعا نسبه إلى داود، ضاربين بعرض الحائط بأقوال السيد المسيح نفسه، وأن يناقض أحدهما الآخر في أمر نسبه وتسلسل آبائه وأجداده المزعومين، وأن تناقض هذه اللائحة النسبية التعليم المسيحي بأن المسيح هو ابن الله، وأن أمه مريم وجدت حبلى من الروح القدس، وليس من تواصل بيولوجي بينها وبين يوسف، حتى يمكن اعتماد نسب ليسوع المسيح فضلاً عن الأنساب

(98) بطرس كيفا هو سمعان الصياد الذي كان من أوائل الذين تبعوا المسيح وآمنوا برسالته وشهدوا له وهنأه يسوع على إيمانه واعتبر هذا الإيمان الصخرة التي تبنى عليها كنيسته ومع هذا فقد أنكره عندما ألقى القبض عليه وقد تابع بطرس الدعوة المسيحية بعد الصلب واستشهد في رومة في السنة نفسها التي استشهد فيها بولس عام 67م وتعده الكنيسة الكاثوليكية خليفة للسيد المسيح.

(99) أناجيل متى 22: 41 - 46 ومرقس 12: 35 - 34 ولوقا 41 - 44.

(100) جنون الخلود الآثار الكاملة (9) ص 102 سعاده.

لا تعدو أن تكون «مرويات» و«مزاعم» لا يصدقها العقل وتنبذها الموضوعية. فمن الثابت أن الإنجيليين، في إدراجهما لائحة أجداد المسيح لم يتوخّيا الدقة التاريخية والموضوعية، فعندما يوزع متى سلسلة أجداد المسيح إلى ثلاث مراحل تضم كل منها 14 اسماً فما ذلك سوى أسلوب بياني تابع للأنماط العددية الرمزية التي كانت شائعة آنذاك.

نلاحظ أن «متى» ينحدر من إبراهيم إلى المسيح، بينما يرقى «لوقا» من المسيح في اتجاه معاكس (فأيهما أصدق؟!) ويرجع ذلك إلى أن الأول توجه بإنجيله إلى أقوام اليهود، وهو يريد أن يبيّن لهم تحقيق المواعيد الإبراهيمة في المسيح، ولو تم ذلك تزويراً على حساب الحقائق التاريخية والحقائق التعليمية المسيحية، بينما يتوجه الآخر إلى الوثنين ويريد أن يبرهن لهم أن المسيح قد أتى ليخلص ذرية آدم بأسرها[101].

إن مقولة التوراة أن الرب اختار اليهود لأنه قطع «عهداً» لآبائهم الأولين، يفسر اهتمام اليهود بمعرفة أنسابهم ومدى صلتهم النسبية بهؤلاء الأجداد، فنرى أن القسم الأكبر من التوراة مخصص لتعداد الأسلاف وإرجاعهم إلى يعقوب وإسحق وإبراهيم، ويعتبر ذلك كوثيقة تخول صاحبها كل حقوق «الشعب المختار»، وتضمن له مكاناً خاصاً في مملكته. «الرب أحب إسرائيل وساعدهم لأنه أحب آباءهم واختار نسلهم من بعدهم».

ولا شك أن كلا الإنجيليين أساءا إلى المسيح باعتبار أجداده يهوداً، كما أساءا إلى المسيحية والتعليم المسيحي، وأفسحا في المجال للمسيحية

(101) «يسوع في زمانه دانيال روبنسون» ترجمة الأب حبيب باشا البولسي ص 21.

المتهوّدة أن تعبث بها وتعمل على إفسادها وتشويه مقاصدها.

جنوح المعتقدات البروتستنتينية وفرقها المختلفة للتمسك بما ورد في التوراة واعتبارها جزءاً لا بد منه لتمام الإيمان المسيحي:

ليس غرض البحث التعرض بالتفصيل للمعتقد البروتستنتي بقدر ما هو إثبات جنوح الفرق البروتستنتينية إلى اعتبار ما ورد في التوراة طريق الهداية المسيحية ومع أن «مارتن لوثر» كان متأثراً ببولس، والبعد الديني الذي أدركه في المسيحية، من أجل إعطائها، ما يعتقده أنه معناها ومبناها الحقيقيان، إلا أن «أرثوذكسية» الكنائس، اللوثرية ساهمت، وربما دون قصد، إلى اتخاذ مواقف حالت بينها وبين رغبتها في العودة إلى دعاة المسيحية الأولى بالاستغناء مباشرة عن النصوص الإنجيلية، في محاولة بناء «مملكة المسيح على الأرض»[102].

وما حصل بعد ذلك «أن الأنبياء السماويين» الذين كانوا يوجهون، اللوثريين ويعبرون عن أحاسيسهم كانوا يوحون إليهم بالتعصب الرهيب، فكان «توماس منغز»، المسكون بالرؤيا الآخروية، يدعو إلى أن الآخرة تقترب، فلا بد من القضاء على الزنادقة، كما نمت الدعوة في سويسرا وألمانيا الجنوبية «لتجديد العمادة الثانية» في حين كان البولونيون يرفضون «مبدأ التثليث»، أما «المورافيون» فكانوا يستذكرون كل بحث عقائدي[103].

كان الفكر الروتستنتي يتجه إلى الشعور بالحاجة الإنسانية إلى العدالة والأخوة المنصوص عنهما في الرسالة الإنجيلية، إلا أن التحول في الإيمان

(102) تاريخ الفكر السياسي جان توشار وصحبه ترجمة عليى مقلد ص 216.

(103) المرجع السابق ص 218.

حصل على يد «كالفن» أحد أعمدة البروتستنتية بعد «لوثر» فدعا إلى تلازم الإيمان الإنجيلي مع الإيمان بالعهد القديم، وأنه لا بد من تنظيم الكنيسة وإعدادها لممارسة الحكم الإكليريكي، وهذه الأخيرة دعوة سبقته إليها البابوية في عزّ سطوتها(104).

أما في سويسرا فكان المصلون يتجهون إلى الراديكالية على الصعيد الديني، متجاوزين بذلك «مارتن لوثر» خاصة فيما يتعلق بمسألة القرابين، كما ساروا أبعد منه في العمل على تحطيم الدولة الكنيسية، وفي زوريخ كان المصلح «زوينكلي» يشرح نظرية السلطة المسيحية، التي هي مزيج من التيوقراطية والديمقراطية، فالسلطة الزمنية لها صلاحية في المسائل الروحية لأنها تمثل جماعة المؤمنين شرط أن يبقى عملها فقط، مطابقاً لقيم المسيح.

الإصلاح البروتستنتي في إنكلترا وظهور الشيع والفرق البروتستنتية في العالم الجديد:

لابد قبل الحديث عن ظهور الشيع والفرق البروتستنتية في العالم الجديد، من الحديث عن الإصلاح البروتستنتي في إنكلترا لصلة هذا بذاك، من أحداث وتطورات أبرزها طلاق الملك هنري الثامن من زوجته «ماري ستيورات» وموقف البابا من هذا الطلاق ورفضه له، وحدوث الوقيعة مع عدد من الكنائس الإنكليزية التي أعلنت استقلالها وانفصالها عن السلطة البابوية مع عدم تفريطها أو تخليها عن الإيمان الكاثوليكي، وعلاقة هذه الأحداث وارتباطها بظهور الفرق البروتستنتية في العالم الجديد.

أدّت هذه الخطوة إلى تطور الأحداث في اتجاه الانفصال التام، عن

(104) المرجع السابق ص 214.

الفاتيكان والإيمان الكاثوليكي وظهور الكنيسة الانكليكانية، «كنيسة التاج البريطاني»، برئاسة أسقف كانتربري.

جرى كل ذلك في عهد «الملكة إليزابيث» ابنة هنري الثامن، التي رأت أنه تفادياً للمنازعات والصراعات الداخلية بين الكاثوليك والبروتستنت لا بد من ولا غنى عن إصلاح الكاثوليكية إيماناً وتعليماً وممارسة بالاستقلال عن البابوية وإقامة كنيسة إنكليزية مستقلة، ظناً منها أن هذه الخطوة سترضي الأطراف المتصارعة، فأعلنت قيام الكنيسة الإنكليكانية، وهي كنيسة منفصلة عن البابا، أما تعاليمها، كما أعلن عنها «أسقف كانتربري» فهي تعاليم وسط بين الكنائس المتنافسة الثلاث الكبرى: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستنتية، وعندما حاولت فرض هذا الإيمان الجديد، رفضته الأطراف المتنازعة جميعها وخاصة منهم «البيوريتان» أو «المتقشفون» الذين فضلوا الهجرة إلى العالم الجديد، ليعبدوا الله هناك بحرية وبطريقتهم الخاصة[105]...

من «البيورثان» اشتقت الفرق البروتستنتية المختلفة في العالم الجديد كالبريسبيتريين و«المعمدانيين»، و«الميتوديست» ثم ظهرت فرق أخرى كالسبتيين وشهود يهوه، يجمعها شيء واحد هو التشدد في الإيمان المسيحي المتهود الذي يعتبر التوراة جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس، وبلغ ببعضهم الأمر إلى الأخذ بحرفية نصوص التوراة. مما ساهم في النهاية إلى التلاقي مع اليهودية العالمية المتركزة في نيويورك وسائر المدن الكبرى في الولايات المتحدة الأميركية، على خطاب ديني وسياسي موحّد، حتى اعتبرهم الكثيرون وبحق «المسيحيون المتصهينبون».

(105) الموسوعة البريطانية الجزء الأول لعام 1983.

انحراف الفاتيكان:

انحراف الفاتيكان عن موقفه السابق الرافض اعتبار التوراة جزءاً من الإيمان المسيحي، واتخاذ مواقف أخرى منحازة لليهود أبرزها وأهمها الإعلان عن «براءة اليهود من صلب المسيح».

وقد أشار إلى ذلك سعاده ونبه عنه في مقال نشرته جريدة «الزوبعة» في عددها رقم 80 الصادر في 4 أيلول 1944م بعنوان نفوذ اليهود في الفاتيكان، ونظراً لأهميته التاريخية، فإننا نتقصد إعادة نشره بصيغته الحرفية، مع الاعتراف ودون النيل أو التقليل من موقف الفاتيكان وأهميته من الحرب على العراق. ثم دعوته مؤخراً لإنهاء احتلاله..

براءة اليهود من دم المسيح

مدخل البحث:

بعد أن استعرضنا «تاريخ اليهود» وأضأنا على معتقدهم الديني وتناولنا ظهور المسيحية وتعليمها والمعتقدات المناهضة لها، ثم ما عرف في تاريخ المسيحية بـ«المسيحية المتهودة» وتطّورها حتى بلوغها اليوم مرحلة «التصهين»، سنعمد إلى بيان وتبيين أثرها وتأثيرها في المعتقد المسيحي بحيث بدت حالياً وكأنها تتخذ أشكالاً مختلفة وصوراً متباينة لحقيقتها، وكأنها سائرة نحو الهدف الذي حددته لها «اليهودية العالمية»، ألا وهو إفساد التعليم اليسوعي وهدم المسيحية المسكونية.

ففي الولايات المتحدة خاصة، حيث يسيطر اليهود سيطرة شبه تامة، فإن الصهيونية تدفع بالعديد من عملائها وأتباعها ومشايعيها بل وحلفائها ومناصريها من الفرق الدينية المشتقة من البروتستنتينية إلى تصوير المسيحية على غير حقيقتها، بإظهارها وكأنها في عداء للإسلام وفي صراع معه في منطقة الشرق الأوسط خاصة، بل وأنها آيلة للانقراض والزوال بحكم الاضطهاد الديني والسياسي والمدني الذي يمارسه المسلمون عليها، مما يفسر هذه الهجمة المتنامية على الإسلام زوراً وبهتاناً، ومما يضعنا وجهاً لوجه نحن المسيحيين لفضح هذه الخطط وإظهار الحقائق، حقائق الإسلام والمسيحية معاً فقصة «صراع الحضارات» التي دعا إليها وبشر بها «صموئيل هنتغتون» تمثل الوجه القبيح لهذه الدعوة أو الدعوات.. وهو ما يفسر أيضاً الحملات التي تشن علينا في الصحف الأميركية الواسعة الانتشار كـ «النيويورك تايمز»

و«لوس أنجلس تايمس» وسواهما، من مقالات مسعورة على الإسلام والمسلمين فضلاً عن عقد المؤتمرات تحت عناوين مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر: «الدعوة لسن قانون محاسبة سورية في «الكونغرس». ويحضر هذه المؤتمرات، وللأسف، نفر من أبناء أمتنا، تصحّ تسميتهم بـ»يهود الداخل»، تستغلهم الصهيونية لإثارة الفتن الطائفية والعرقية في العديد من الدول العربية وأخصّها «لبنان».. كما يعمل خدّامها على نشر المؤلفات المفسدة ومنها «انقراض المسيحيين الشرقيين في ظل الحكم الإسلامي» لمؤلفه «بات بؤول» وإنشاء الجمعيات كـ «جمعية مسيحيي الشرق الأوسط» والمسيحيون والمسيحية منها براء..

وقد لا يتسع بنا المجال لتفصيل والتحدث عن النشاطات المعادية التي يقوم بها نفر من الحزب الجمهوري من أمثال «براونباك» وهو رجل إسرائيل الأول في الكونغرس الأميركي، و«فرانك وولف» الصهيوني الذي يمثل ولاية فرجينيا في الكونغرس أيضاً، وهو عضو في الحزب الجمهوري كذلك.. هذا عدا عن القسيس من أمثال «فلويل» و«باترسون».. و«هول لندسي» و«بات روبرتسون» و«غراهم» و«مخائيل جيرسيون» الذي يكتب خطب «بوش» عندما يتحدث عن الشرق الأوسط ناهيك عن «ليبرمان» من زعماء الحزب الديمقراطي والمرشح لنيابة رئاسة الولايات المتحدة الأميركية.

أما في الغرب الأوربي، وتحت شعار محاربة الإرهاب الدولي، فإن المنظمات اليهودية تسعى جاهدة لإقناع الرأي العام الأوربي ـ المسيحي، بأن الإسلام هو حاضن الإرهاب الدولي والداعم له والمحرّض عليه، لنسف الجسور، ليس بين الإسلام والمسيحية فقط، بل وتصويره على أنه العدو الأوحد للأمم الأوربية.

والأمر هنا في أمتنا وعالمها العربي والإسلامي، فنشاطها لا يتوقف،

سواء عن طريق الدعوات الدينية المخرّبة للتعليم المسيحي «كشهود يهوه» و«السبتيين» أو سواء عن طريق تشجيع نفر مشبوه من المثقفين على نشر مؤلفات تنال من المسيح والمسيحية تحت شعار العلمية والموضوعية.

«منذ بضعة أشهر صدرت رسالة البابا بيوس الثاني عشر في صدد التوراة، فكانت من أشد الرسائل البابوية خطورة، وأكثرها تعديلاً للموقف الكاثوليكي الرسمي، فيما يختص بالتوراة المعروفة في لغة الكنائس المسيحية بالعهد القديم.

كانت الكنيسة الكاثوليكية تكتفي منذ زمن الإصلاح، بالإنجيل المسيحي، المعروف بالعهد الجديد، مرجعاً للتعليم الديني ومصدراً للروحية الدينية المسيحية كلها. وكانت قراءة التوراة شبه محرمة على اتباع الكنيسة المذكورة. ولكن بعض البابوات السابقين أشاروا في رسائلهم إلى التوراة واستحسنوا درسها والعناية بها حباً بجلاء مسائل تتعلق بخصائص التفسيرات الدينية. وقد خرجت رسالة البابا بيوس الثاني عشر، التي نحن في صددها الآن، عن ذلك الحد بإثبات وصية صريحة لقداسته تحث على القراءة اليومية للكتاب المقدس في العائلات المسيحية، وتحرض الأساقفة على «تحبيذ ومساعدة تلك الجمعيات التقية التي ترغب في نشر طبعات التوراة بين المؤمنين، وخصوصاً نشر الأناجيل، وأن يسعوا بكل اجتهاد أن تقرأ في العائلات المسيحية باستقامة وتقديس».

«بناء على هذه النصائح والتعليمات الواردة في رسالة قداسة البابا فيوس الثاني عشر، المؤيدة لما سبقها من إرشادات للبابا فيوس الحادي عشر والبابا بندكتوس الخامس عشر، لم يعد يصح للكاثوليك أن يقولوا إن التوراة كتاب أفروتسطنتي غير جائز للكاثوليكي قراءته، وهذا يعني أن جميع القصص التي أخذها اليهود من الأساطير السورية وأولوها لمصلحتهم، وتعزيز شأن جماعتهم، ستجد قبولاً و«تقديساً» جديدين

عند الكاثوليك كما وجدت قبولاً وتقديساً عند الشيع الأفروتسطنية.

«لسنا نريد أن نعالج الدوافع والمرامي الدينية البحتة للحث على دراسة التوراة توخياً لجلاء بعض غوامض التأويلات والتفسيرات اللاهوتية، ولكننا نريد أن نتناول الوجهة السياسية المتضمنة في «تقديس» التوراة وخصوصياتها اليهودية وتفضيلها الإسرائيليين على جميع خلق الله الذين لا يبلغ اليهود عشر معشارهم».

«إن تقديس» التوراة ومراميها اليهودية المخالفة للروحية الناصرية المعلمة للمحبة، والمساواة الإنسانية، هو من أهم «موجبات» العطف على اليهود ومطامعهم في سورية عند الشعوب الأفروتسطنية. ومع أننا نعلم أن «العطف» الذي تبديه بعض الدول الكبرى لمآرب اليهود هو ذو مصدر سياسي بحت، فلا يمكننا أن نجهل أو نتجاهل أن تعميم ذلك العطف في شعوب الدول المذكورة يجد في تقديس التأويلات اليهودية لوجود الله وعمله وحكمته تسهيلاً كبيراً وإقبالاً واسعاً. ومما لاشك فيه أن اعتماد الكاثوليك «تقديس» صوت إسرائيل وبنيه، وتقديس لعنة جميع الأمم، سيفتح مجالاً جديداً للشفقة على «شعب الله المختار» ويوجد تأييداً له في محاولته الجديدة للاستيلاء على بلاد السوريين «التي وعده يهوه» ان يعطيه إياها ملكاً خاصاً به على تعاقب أجياله، وإلى تأييد يستطيع ادعاء القارئين «كلمة الله» في «كتابه المقدس» أن سورية لليهود بحق إلهي مشروع في التوراة.

في العدد الماضي من «الزوبعة» بسطنا بعض البسط اتساع نطاق حركة اليهود الصهيونية ونفوذها بين «الأمم المتحدة» خصوصاً في أميركانيا وبريطانيا. ولم يتسع المجال وحدود الموضوع لتناول واسطة الشعور الديني لدعم المطالب اليهودية في الرأي العام عند الأمم المذكورة التي ابتدأ يلوح لها النصر في هذه الحرب العالمية الثانية. ولكن لا بد من تقرير أن هناك علاقة وثيقة بين اتجاهات معينة من الشعور الديني

والأغراض السياسية للدول والجماعات. ومن ذلك العلاقة الوثيقة بين الحث على العودة إلى التوراة وقراءتها «بتقديس»، ومطامع اليهود السياسية في سورية.

«ولا مندوحة لنا، في هذا الوقت، عن ذكر امتداد مساعي اليهود إلى الفاتيكان وما تلاقيه تلك المساعي من اهتمام قداسته ونواميس دولة البابوية الزمنية. إن أخباراً متعددة دلت على هذه الحقيقة الخطيرة، ومن الأنباء ذات المغزى البعيد في هذا الصدد برقية لشركة «يونيتد برس» صادرة عن مدينة الفاتيكان في الثامن عشر من حزيران الماضي هذا نصها:

«استقبل صاحب السيادة سلبيو شركانوا، الذي هو ملحق ناموس الفاتيكان للمواضيع الكنسية الاستثنائية»، الربّي «أنطون صويح»، الذي هو الربّي الأول في رومة وتحادث الاثنان في هذا الاستقبال طويلاً.

«والمفهوم أن صويح» سيقابل البابا بيوس الثاني عشر، وهذا يؤيد بصورة علنية، اهتمام السدة البابوية بحالة اليهود.

«وقد بلغنا أيضاً أن محادثة اليوم المشار إليها آنفاً اختصت بالموقف الذي سيتخذه الفاتيكان تجاه المسألة اليهودية في أي مؤتمر صلح سيعقد.

«وهناك ظن عام أن محادثة اليوم ستؤثر في الموقف الذي ستتخذه السدة البابوية بتحريم كل كره جنسي أو تمييز ديني.

«هذه البرقية الصغيرة تخبر عن أمور خطيرة، ومنها نرى أن العلاقة بين الاتجاه الذي تسير به رسالة البابا التي نحن في صددها ومرامي اليهود السياسية، هي أقوى مما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ونكاد نقول إنها

تشبه العلاقة بين مساعي اليهود وموقف البطريرك الماروني الذي رحب باليهود إلى لبنان لأسباب ظاهرها تقوى دينية.

إن كثيراً من الذين يقرأون التوراة «بتقديس» كل يوم، ومنهم ملايين في أميركانيا وبريطانيا، يرون في عودة اليهود إلى محاولة الاستيلاء على سورية تحقيق وعد الله أنه «سيجمع خرافه» بعد تشتيتها، وموقف السوريين المدافعين عن وطنهم وحقوقهم القومية هو، في نظر أولئك المؤمنين، عصيان لمشيئة الله وأحكامه، والعاصي يستوجب النقمة.

إن هذه المسألة لخطيرة جداً، ومهما حاولنا أن نكون متدينين وأتقياء ورعين، فلا يمكننا، ولا بوجه من الوجوه، إغفال الأخطاء الآتية تحت جنح الشعور الديني لتنزل ضربة شديدة بحقوقنا بصفتنا أمة حية لها حق السيادة على مصيرها ومصير وطنها.

.. كثير من السوريين المسيحيين الذين قرأوا والذين سيقرأون التوراة اليهودية «بتقديس» لن يجدوا نكيراً في محاولة اليهود الجديدة للاستيلاء على ديارهم وأموالهم، بل يقبلون ذلك بتسليم كلي «لأحكام الله ومشيئته».

«.. إن استقبالات دولة الفاتيكان زعماء اليهود لم ينقطع منذ ذلك الإعلان، ويبدو واضحاً أن تلك الزيارات أثمرت ونتج عنها إعلان آخر يقضي «بتحريم كل كره جنسي أو تمييز ديني، وهي مساع تشبه إلى حد بعيد تصريحات ومواقف البطريرك الماروني الذي رحب باليهود في لبنان لأسباب ظاهرها تقوى دينية وخفاياها لا تخفى على كل ذي بصر وبصيرة».

لقد فرضت هذه التصريحات والاجتماعات والإعلانات مناداة

المطران مبارك بإقامة دولة مسيحية في لبنان على غرار الدولة اليهودية المقامة على الأرض الفلسطينية.

ومايدل على تعاظم هذا النفوذ أن قارئ التوراة في الكنائس الكاثوليكية خاصة، أصبح يردد بعد الانتهاء من قراءتها عبارة تشير إلى أن ماقرأه منها هو كلام الله «PAROLES DE DIEU» هو وجه مكشوف من وجوه المسيحية المتهودة، إذا لم يكن يهودية بالكامل.

واليوم لا يخفي البابا الحالي تقربه من اليهود فتصريحاته المتعاقبة المؤيدة لهم واستقبال زعمائهم والاعتراف بدولتهم والاعتذار غير المبرر والخاطئ لهم عن مواقف الباباوات الذين سبقوه بأنهم لم يعملوا بما فيه الكفاية لرفع أو للحد من اضطهاد النازيين لهم وسكوته المطبق على ما فعلته وتفعله إسرائيل في لبنان وفلسطين والشام وتدميرها القرى والمدن لايمكن أن يفسر إلا أنه انحياز دولة الفاتيكان التام لليهودية العالمية وربيبتها إسرائيل.

فضلاً عن أن زيارة قداسة الباب للبنان وإعلانه المتناقض مع الإيمان المسيحي بأن المسيح هو «ابن إسرائيل»، ثم زيارته لدولة الاغتصاب «إسرائيل» وقبلها الموقع الذي يزعم أن «موسى» وقف فيه متأملاً الأرض الموعودة «فلسطين»، ثم تقديمه الاعتذار لليهود بل والانحناء أمام أنصاب «الهيلوكوست» في الوقت الذي كان فيه الشارع اليهودي وحاخاماته يوجه السباب والشتائم للبابا وللمسيحية.

وبالمقارنة «للمقارنة فقط» يلقى البابا في زيارته لدمشق الرعاية والعناية وبالغ الاحترام على مستوى الدولة كما على مستوى الشعب..

رئيس الجمهورية السورية كان في استقباله وحشود شعبية معظمها مسلمون اصطفوا لتحيته، رجال الدين المسلمون يتقدمهم مفتي الجمهورية يستقبلونه في الجامع الأموي بل ويدخلونه الجامع لزيارة ضريح «يوحنا المعمدان»، وهي سابقة تستحق التقدير والشكر، فلم تلق من مطران باريس بسوى التهجمات الرخيصة على سورية الشعب وسورية الدولة واتهامات باللاسامية ولا غرابة في ذلك «فنيافته» معروف لدينا بأصوله اليهودية، وبحقده غير المبرر على شعبنا وأمتنا، وإعطائه المسيحية وجهاً ليس وجهها، وهو وجه التهود، والخضوع للابتزاز اليهودي، وكان الأحرى به أن يدفع التهم اليهودية عن كنيسته ولأنه لا يفعل ولا يمكن أن يفعل نظراً «لتهوده»، فإننا نحن نتولى الدفاع عنها إنصافاً للحقيقة والتاريخ..

موقف الكنيسة الكاثوليكية من الهولوكوست:(106)

«إن المعقّدين اليهود ينكرون فضائل الآخرين ويكفرون بعمل الآخرين الصالح نحوهم، وكأن الأقدار قد سخرتهم لخدمتهم، وليس لتحرك المشاعر الإنسانية نحوالمعذبين منهم ومن غيرهم فلا شكر ولاعرفان.. لذا أخذوا يتهمون الكنيسة بالتقصير في حمايتهم من الاضطهاد النازي، فرد على افتراءاتهم اليهودي غير الصهيوني «الفرد ليلينتال»، قال: في عام (1934) يوم كان «أو جينيو باتشيلي» (E. Patcelli) سكرتير دولة الفاتيكان يشجع البابا بيوس 11 (Pius 11) على فتح أبواب الفاتيكان للمنشقين من الألمان والإيطاليين.

وقبل أن يصبح بابا بزمن قصير أبدى اهتمامه بالمثقفين اليهود بأن أرسل كتاباً مؤرخاً في 12 كانون 1939 إلى الكرادلة الأربعة في الولايات

(106) صهاينة الخزر ص 199 - 201 الدكتور وديع بشور.

المتحدة وكندا يرجوهم أن يقبلوا عدداً أكبر من الأساتذة والمفكرين اليهود في الجامعات الكاثوليكية:

وفي السنين التالية أصبح البابا بيوس 12 «Pius XII» وأسس «اللجنة الكاثوليكية للاجئين» في روما ووضع مسؤولا عنها سكرتيره الخاص الأب روبرت ليبر (Lieber) ومدبرة بيته الأم باسكالينا (Pascalina) ومهدت هذه اللجنة الطريق لعشرات ألوف اليهود الألمان ليدخلوا أميركا على أنهم كاثوليك، وقد زودتهم بوثائق عمل وشهادات معمودية وإعانات مادية وترتيبات في الخارج.

كذلك بحدود عام 1942 وبتوجيه من الفاتيكان أقام أكثر من مليون يهودي في الأديرة الأوروبية: 1500 في حصن «غاندولف» وعدة آلاف من مختلف العقائد في مدينة الفاتيكان أصبحوا من اللاجئين.

أثناء ذلك كان المونسينيور أنجلوا رونكللي (Angelo Roncalli) وكسفير للفاتيكان في اسطنبول يساعد مئات والآف من يهود أوروبا الشرقية للهجرة إلى فلسطين، بينما في فرنسا كان الكاردينال أوجين تيسران (E. Tisserant) ولجنته يساعدون اليهود الفرنسيين.

وفي مدينة (نيس) Nice طبعت مطبعة سرية 1895 بطاقة هوية و1360 إذن سفر و1230 شهادة ولادة و428 رسالة تهجير و95 شهادة معمودية قبل أن تكتشف.

كما حصل البابا بمراسلاته الشخصية مع نائب الملك «ميكلوس هورني» على أن يضمن 800 ألف يهودي في بلاده من التهجير إذا هم قبلوا المعمودية الجماعية.

وفي عام 1943 وقبل دخول الجيش الألماني إلى روما بقليل أمر البابا بوضع الختم البابوي على أكبر كنيس في روما لحمايته.

ولما سمحت وزارة الخارجية البريطانية بنشر أوراقها عام 1972 تبين أن البابا بيوس 12 علم بخطط النازيين لغزو فرنسا وهولندا منذ أيار 1940 فأعلم البريطانيين وقتها بذلك.

لكن وثائق الفاتيكان لعام 1943 تبين أن روما انزعجت جداً من احتمال إقامة دولة يهودية في الشرق الأوسط، وأكدت القيادة الكاثوليكية أنه يجب التفريق بين اللجوء وإقامة الدولة، ولم يوافق الكرسي الرسولي قط على خطة جعل فلسطين وطناً يهودياً.

لذا نجد أن اعتراف الفاتيكان الكامل بالدولة الإسرائيلية مع التمثيل الدبلوماسي لم يحدث حتى كانون الأول 1993، وبضغط على الكاردينال أو كونور في نيويورك (Connor Ocardinal)، مع أن الكنيسة الكاثوليكية برئاسة بيوس 12 قد أنقذت من 700 إلى 860 ألف يهودي من الموت المحقق على يد النازيين وأنقذت 85٪ من يهود إيطاليا.

هذا ما عمله البابا بيوس 12 مذ أصبح وزير خارجية الفاتيكان عام 1929 وأثناء بابويته 1939 - 1958 ، ومع ذلك نرى الصهاينة يكفزون بالنعمة وينكرون المساعدة وفعل الخير والإنسانية.

بين البراءة والغفران:

في الستينيات من القرن الفائت انعقد المؤتمر المسكوني الفاتيكاني الثاني وأصدر الفاتيكان في أعقابه إعلاناً يقضي «ببراءة اليهود من دم السيد المسيح» تأسيسا على أنه من الظلم أخذ الأبناء بجريرة الآباء، وأن الوثنية الرومانية هي المسؤولة عن موت السيد المسيح وصلبه لا اليهود.

في الحيثية الأولى: لابد ونحن نتحدث عن «براءة اليهود» من دم

السيد المسيح من الرجوع إلى الأناجيل الأربعة: «متى ومرقس ولوقا ويوحنا» لدراسة واقعة الصلب في كل منها وكيف تمت، وبعدها دراسة الحكم الذي أصدره «بيلاطس النبطي» الحاكم الروماني والقاضي بموت السيد المسيح صلباً.

قبل حديثه عن الكيفية التي تم اعتقال اليهود السيد المسيح، يروي «الإنجيلي متى» ومعه الإنجيليون الثلاثة الآخرون عن محاولة لقتل يسوع المسيح سبقت واقعة الصلب دبرها رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة وشيوخ الشعب في اجتماع عقدوه في دار «قيافا» رئيس الكهنة ليمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه ولكنهم قالوا: «لا نفعل هذا في العيد، لئلا يحدث اضطراب في الشعب»، ثم يروي حادثة المراة التي سكبت الطيب الغالي الثمن على رأس السيد المسيح واستياء التلاميذ وخاصة يهوذا الاسخريوطي من هذا التصرف، ثم يستطرد «متى» إلى الحديث عن خيانة «يهوذا» وتآمره مع رؤساء الكهنة على حياة السيد وبيعه معلمه بثلاثين من الفضة وبعد ذلك تفاصيل العشاء السري الأخير ونبوءة يسوع بإنكار بطرس له ليلة الاعتقال وصلاته في «جتسيماني» ثم حادثة الاعتقال والمحاكمة التاريخية التي نحن بصددها.

الاعتقال والمحاكمة: «وبينما يسوع يتكلم وصل يهوذا، أحد التلاميذ الإثني عشر، على رأس عصابة كبيرة تحمل السيوف والعصي، أرسلها رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، وكان الذي سلمه أعطاهم علامة قال: «هو الذي أقبله فامسكوه، ودنا «يهوذا» في الحال إلى يسوع وقال له: «السلام عليك يا معلم!» «وقبله، فقال له يسوع: «افعل ما جئت من أجله يا صاحبي فتقدموا وألقوا عليه الأيدي وأمسكوه، ومدَّ واحد من رفاق يسوع يده إلى سيفه وضرب خادم رئيس الكهنة،

فقطع أذنه: فقال له يسوع: «رُدَّ سيفك إلى مكانه فمن يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك».

وقال يسوع للجموع: «أعلى لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كنت كل يوم أجلس معكم في الهيكل أعلم فما أخذتموني»، ولكن حدث هذا لتتم كتب الأنبياء فتركه التلاميذ وهربوا[107].

المحاكمة: وقائع المحاكمة تقسم إلى مرحلتين: الأولى مرحلة استجواب «قيافا» ومعه الفريسيون وشيوخ اليهود، يسوع، والثانية محاكمته أمام «بيلاطس».

ففي المرحلة الأولى حاول المجتمعون (المتآمرون): الفريسيون، معلمو الشريعة، وشيوخ الشعب أن يجدوا شاهداً على يسوع، ولو كان شاهد زور فلم يجدوا، أما يسوع فقد ظل صامتاً، فقال له رئيس الكهنة: «أما تجيب بشيء استحلفك بالله الحي أن تقول لنا: «هل أنت المسيح ابن الله» فأجابه يسوع: «أنت قلت، وأنا أقول لكم سترون بعد اليوم ابن الإنسان جالساً عن يمين الله القدير وآتيا على سحاب السماء»، فشقّ رئيس الكهنة ثيابه وقال: «كفر، أنحتاج بعد إلى شهود، ها أنتم سمعتم كفره، فما رأيكم..؟ فأجابوه: «يستوجب الموت» وبصقوا في وجهه ولطموه.. ثم اقتادوه ليحاكم أمام «بيلاطس البنطي» الحاكم الروماني.

ويسترسل الإنجيلي متى ليتحدث عن المرحلة الثانية وهي مرحلة المحاكمة أمام «بيلاطس»، الحاكم يسأل يسوع: «أأنت ملك اليهود؟» فيجيبه يسوع: «أنت قلت». والذي أرجحه أنه أجاب: «أنت تقول»، لأن الأناجيل الأربعة جميعها خالية من تعليم للمسيح بأنه «ملك اليهود»، وهي تهمة ألصقها اليهود بيسوع وهو براء منها، ليثيروا الحاكم عليه كما سنرى في إنجيل

(107) انجيل متى 26: 6 - 13 ومرقص 14: 3 - 9 ويوحنا 12: 1 - 8.

يوحنا وهو يروي وقائع المحاكمة.. فإذا أجاب: «أنت قلت» فكأنه يؤكد التهمة، أو كأنه يجرح تعليمه، بأن «مملكته ليست من هذا العالم».

وكان رؤساء الكهنة والشيوخ يتهمونه، فلا يجيب بشيء فقال له «بيلاطس»: «أتسمع ما يشهدون به عليك» فما أجابه يسوع عن شيء حتى تعجّب الحاكم كثيراً.

.. وبينما «بيلاطس» على كرسي القضاء، أرسلت إليه امرأته تقول: «إياك» وهذا الرجل الصالح، «لأنني تألمت في الحلم كثيراً من أجله»، لكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا إطلاق سراح «باراباس» من السجن، وهو مجرم محكوم عليه بالقتل والتحريض على الفتنة والمساهمة فيها، ويقتلوا يسوع، فلما سألهم الحاكم «أيهما تريدون أن أطلق لكم سراحه، أجابوا «باراباس» فقال لهم «بيلاطس»: «وماذا أفعل بيسوع الذي يقال له المسيح» فأجابوا كلهم: «اصلبه»، فقال لهم: «أي شر فعل»، فارتفع صياحهم، «اصلبه اصلبه» فلما رأى بيلاطس أنه ما استفاد شيئاً، بل اشتد الاضطراب أخذ ماء وغسل يديه أمام الجموع وقال: «أنا بريء من دم هذا الصديق، دبروا أنتم أمره»، فأجاب الشعب كله: «دمه علينا وعلى أولادنا» فأطلق لهم «باراباس» أما يسوع فجلده وسلمه ليصلب.

في إنجيل مرقس تتكرر الرواية نفسها مع إضافات منها: قول يسوع لعصابة اليهود الآتية لإلقاء القبض عليه: «أعلى لص خرجتهم بسيوف وعصي لتأخذوني، كنت كل يوم بينكم أعلم في الهيكل فما قبضتم علي.. فتركه التلاميذ كلهم وهربوا وتبعه شاب لايلبس غير عباءة على عريه، فقبضوا عليه، فترك عباءته وهرب عريانا».

وفي المحاكمة قال بيلاطس للهيود: «ماذا أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود»؟ فعادوا للصياح: «اصلبه».. فقال: «لهم أي شر فعل»؟ فارتفع

صياحهم «اصلبه» فأطلق لهم «باراباس» إرضاء لهم، وبعد أن جلد يسوع سلمه ليصلب. وصلب يسوع، ومعه لصان واحد عن يمينه وآخر عن يساره وأخذا يعيرانه وهو على الصليب..

من تدقيق وقائع القبض على يسوع ومحاكمته أمام الحاكم الروماني «بيلاطس البنطي» كما رواها الإنجيليان «متى» و«مرقس» نستنتج مايلي:

أن رؤساء كهنة اليهود ومعلمي الشريعة كانوا جادين في التآمر على حياة يسوع والقبض عليه بحيلة ليقتلوه، وأنهم تآمروا مع «يهوذا الإسخريوطي» أحد التلامذة الاثني عشر للدلالة عليه بتقبيله لقاء ثلاثين من الفضة، مما يثبت:

آ ـ أن اليهود ورؤساءهم اقترفوا جريمة قتل السيد المسيح عن سابق تصور وتصميم وإصرار وعمد بلغة قانون عقوبات هذه الأيام.

ب ـ ليس فقط هذا، بل إن اليهود ورؤساءهم، كانوا يطلبون شهادة حتى ولو كانت شهادة زور على يسوع ليقتلوه فما وجدوا.. نعم شهادة زور ليحكموا على بريء.

جـ ـ أن اليهود بعد أن عجزوا عن الإتيان بشاهد زور واحد لجأوا إلى ما لا يستطيع السيد أن ينكره أو يتنكر عليه، بعد أن استحلفوه بالله العلي القدير، إذا كان هو المسيح، للإيقاع به، وليس للإيمان به، فما أن أجابهم أنه «هو» حتى أخذوه «بكفره»، لأن «مسيحهم» الذي ينتظرون، هو الذي سيحقق المجد لإسرائيل وحدها، ويسحق أعداءها، ويحقق وعد إلههم «يهوه» بأن تمتد مملكتها من النيل إلى الفرات، بينما هذا المسيح أتى ليخلص العالم وينقذ الإنسان أي إنسان من ضلال اليهود وأفكهم وتحجرهم.. ومع أن «مملكته» ليست من هذا العالم فإنه يستوجب الموت،

لذلك اقتادوه إلى بيلاطس الحاكم الروماني ليحاكمه، ويحملوه على الحكم عليه بالموت صلبا.

د ـ أن بيلاطس البنطي، الحاكم الروماني، لم يجد على يسوع شيئاً يستوجب العقاب، بدليل سؤاله الجموع اليهودية، «أي شر فعل»؟.

هـ ـ أن بيلاطس تردد كثيرا في الحكم على يسوع، بل حاول أن ينقذه، ولم يدر في خلده أن الحقد اليهودي يمكن أن يبلغ مبلغ المطالبة بإطلاق سراح مجرم هو «باراباس» وصلب بريء صالح هو «السيد المسيح».

و ـ هذا الإصرار المريب على مطالبة بيلاطس بإصدار ـ حكمه بصلب يسوع، جعله يغسل يديه أمام المجموع اليهودية المحتشدة قائلاً لها: «أنا بريء من دم هذا الصدّيق وبترجمة أخرى (هذا الرجل الصالح) فأجابته الجموع، وكأنها لم تكن تعرف ذبيحتها: «دمه علينا وعلى أولادنا»، فرضخ «بيلاطس» لمشيئتهم وسلّم يسوع ليصلب، وهو غير مقتنع بصواب حكمه عليه.

ومع هذا، فإن التاريخ لم يبرّئه من مسؤولية الصلب فهو شريك أساسي في الجريمة، جريمة الخضوع لمشيئة الغوغاء والرضوخ لأهواء أحقاد زعماء اليهود.

ز ـ إن مزاعم اليهود بأن المسيح ادعى الملك زعم باطل، فالتسمية الوحيدة التي ارتضاها لنفسه كانت «ابن الإنسان».. إن هذا الزعم الزائف، شأنه شأن التهم الأخرى، سواء منها إثارة الفتنة في الشعب أو دعوته إلى عدم دفع الجزية للقيصر، هي تهم كيدية وزائفة جميعها..

فالتهمة الأولى يدحضها قول السيد لعصابة اليهود عندما أتوا لإلقاء

القبض عليه: «كنت كل يوم أجلس معكم في الهيكل فما أخذتموني». فضلاً عن أن هذه التهمة لم ترد ولم يتهم بها السيد المسيح أثناء استجواب رئيس الكهنة له.. بل ألصقت به في المحاكمة للتحريض عليه.

أما التهمة الثانية فواردة في (إنجيل متى 22: 15 - 22 ومرقس 12: 3 - 17 ولوقا 20 - 26) بأن اليهود كانوا يرسلون الجواسيس ويظهرون أنهم أبرار ليمسكوه بكلمة فيسلموه إلى الحاكم الروماني وقضائه فسألوه: «يا معلم» نحن نعرف أنك صادق في كلامك وتعليمك، ولا تحابي أحداً بل بالحق تعلم طريق الله، أيحل لنا أن ندفع الجزية إلى القيصر أم لا؟ فأدرك يسوع مكرهم وقال لهم: «لماذا تجربونني؟ أروني دينارا لمن هذه الصورة وهذا الاسم؟ قالوا: «للقيصر» فقال يسوع: «ادفعوا لقيصر ما لقصير وما لله لله» فما قدروا أن يمسكوه بكلمة وتعجبوا من جوابه فسكتوا.

أما التهمة الثالثة فواضح من تعاليم المسيح ومن أقواله وإجابته «لبيلاطس» أنه لم يدّع يوماً أنه ملك اليهود، أو أن يكون صاحب أية سلطة زمنية، لأن مملكته ليست من هذا العالم، مما جعل «بيلاطس» يصرف النظر عن اتهامه بشيء ويقول لرؤساء الكهنة ولجموع اليهود: لا أجد جرماً على هذا الرجل ولكنهم أصرّوا على قولهم بأنه يثير الشعب بتعليمه في «اليهودية» كلهّا من الجليل إلى هنا، فلما عرف «بيلاطس» أن الرجل من الجليل ولاية «هيرودوس» أحاله إليه وكان هذا الأخير قد سمع عنه الكثير فسأله في مسائل كثيرة فما أجابه عن شيء، بينما كان رؤساء الكهنة ومعلّمو الشريعة يتهمونه ويشدّدون عليه، اكتفى «هيرودوس» وجنوده بالاستهزاء بيسوع وإهانته. وردّه إلى «بيلاطس» فدعا هذا رؤساء اليهود وقال لهم: «جئتم إلي بهذا الرجل فما وجدت أنه ارتكب شيئاً مماتتهمونه به، و«هيرودس» ما وجد أيضاً بدليل أنه ردّه إلينا فلا شيء إذا فعله هذا

الرجل يستوجب الموت فسأجلده وأخلي سبيله، إلا أن اليهود ورؤساءهم صاحوا: «اصلبه اصلبه» فقال لهم ثالثة «لا أجد عليه ما يستوجب الموت»، «فاشتد» صياحهم وصياح رؤساء الكهنة مطالبين بالصلب، فحكم بيلاطس أن يجاب طلبهم، وأطلق لهم الرجل الذي طلبوه وهو «باراباس» وكان في السجن لارتكابه جريمة قتل وإثارة الفتنة وسلّم يسوع لمشيئة اليهود، فساقوه إلى الصلب ومعه اثنان من المجرمين إلى مكان يسمى «الجمجمة» وصلبوه هناك وصلبوا معه مجرمين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره، فقال يسوع: «اغفر لهم يا أبت لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون»..

... وأخذ أحد المجرمين المعلّقين على الصليب يشتم يسوع ويقول له: «أما أنت المسيح فخلّص نفسك وخلصنا»، فانتهره المجرم الآخر قائلاً: أما تخاف الله وأنت تتحمل العقاب نفسه؟ نحن عقابنا عدل جزاء أعمالنا، أما هو فما عمل سوءاً، وقال ليسوع: «اذكرني يا ربّ، متى جئت في ملكوتك» فأجابه يسوع: «الحقّ أقول لك، ستكون اليوم معي في الفردوس».

ومن تدقيق رواية الإنجيلي لوقا لحادثة الصلب يظهر واضحاً:

1 ـ أن اليهود لفقوا عليه تهماً ثلاثاً ليدفعوا بيلاطس إلى إدانته والحكم عليه وهي إثارة الفتنة والدعوة إلى عدم دفع الجزية لقيصر، والادعاء بأنه ملك إسرائيل، وهي تهم تبيّن زيفها «لبيلاطس» كما «لهيرودوس» ولم تثبت على السيد المسيح.. وهذا ما حدا ببيلاطس بأن يقول لليهود ورؤسائهم «لا أجد عليه مايستوجب الموت» بينما أصرّ اليهود على موته بالدعوة إلى صلبه.

2 ـ أن بيلاطس، وهنا يصحّ لومه لأنه حكم على يسوع وهو مقتنع ببراءته إرضاءً لليهود وصدعاً لرغبتهم بأن أخلى سبيل مجرم قاتل وهو «باراباس» وأحجم عن إخلاء سبيل بريء صالح وحكم عليه بالموت صلباً وهو المسيح.

3 ـ أن جريمة الذين سلموه إلى الحاكم الروماني والإدعاء عليه زوراً يبقون هم المجرمون الحقيقيون كما عبّر السيد المسيح لبيلاطس أثناء محاكمته له بقوله: أما الذي سلمّني إليك فخطيئته أعظم من خطيئتك».

4 ـ إن المسيح غفر لقاتليه إلا أنه لم يبرئهم من فعلتهم، بدلالة قوله: «اغفر لهم يا أبتِ لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون»، وقوله لبيلاطس: «أما الذي سلّمني إليك فخطيئته أعظم من خطيئتك».

الصلب في إنجيل يوحنا: رواية الإنجيلي يوحنا لحادثة الصلب لا تختلف عما رواه الإنجيليون الثلاثة إلا بهذه التفاصيل التي هي على قدر كبير من الأهمية.

1 ـ عند اعتقال العصابة اليهودية للسيد سألهم من تطلبون؟ أجابوا «يسوع الناصري» فقال لهم «أنا هو».. فسألهم ثانية وثالثة من تطلبون؟ فكانوا يصرون على جوابهم «يسوع الناصري» وهو يردد «أنا هو» ثم قال لهم أخيراً: «قلت لكم أنا هو، فإذا كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء ـ أي تلاميذه ـ يذهبون».

2 ـ في وقائع محاكمة يسوع.. الوقت كان صباحاً فامتنع اليهود من دخول قصر الحاكم لئلا يتنجسوا، فلا يتمكنون من أكل عشاء الفصح، مما يدّل على تحجّر عقليتهم وتمسّكهم الأعمى بتقاليدهم، وهو ما حاول يسوع الناصري أن يخلّصهم منه، فنقموا عليه وحقدوا وكادوا له وتآمروا عليه حتى قتلوه.

3 ـ عندما خرج إليهم «بيلاطس» سألهم: «بماذا تتهمون هذا الرجل»؟ أجابوا: «لولا أنه مجرم لما سلمناه إليك، فقال لهم «بيلاطس»: «خذوه أنتم وحاكموه حسب شريعتكم». فأجابوا: «لا يجوز لنا أن نحكم على أحد بالقتل، فتم ما قال يسوع مشيراً إلى الميتة التي يموتها».

4 ـ عاد «بيلاطس» إلى قصر الحاكم ودعا يسوع وقال له: «أأنت ملك اليهود» فأجابه يسوع: «أتقول هذا من عندك أم قاله لك آخرون»؟ فقال «بيلاطس»: «أيهودي أنا؟ رؤساء الكهنة سلموك إلي، فماذا فعلت؟» فأجابه يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عني أتباعي حتى لا أسلّم إلى اليهود، لا، ليست مملكتي من هنا».

فقال له «بيلاطس»: «أملك إذن»؟ أجابه يسوع: «أنت تقول إني ملك، أنا ولدت وجئت إلى العالم حتى أشهد للحق، فمن كان من أبناء الحق يستمع إلى صوتي» فقال له بيلاطس: «ما هو الحق»؟! قال هذا وخرج ثانية إلى اليهود وقال لهم: «لا أجد سبباً للحكم عليه، ولكن العادة عندكم أن أطلق لكم سجيناً في عيد الفصح أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ فصاحوا كلهم لا تطلق هذا بل «باراباس» وكان باراباس لصاً.. وعاد بيلاطس إلى الجموع وقال لهم: «ها أنا أخرجه لكم لتعرفوا أني ما وجدت سبباً للحكم عليه، فأجابه اليهود: «لنا شريعة وهذه الشريعة تقضي عليه بالموت لأنه زعم أنه ابن الله»، فلما سمع بيلاطس كلامهم هذا اشتد خوفه فدخل القصر وقال ليسوع: «من أين أنت؟ فما أجابه بشيء، فقال له بيلاطس: «ألا تجيبني»؟ ألا تعرف أن لي سلطة أن أخلي سبيلك وسلطة أن أصلبك، فأجابه يسوع: «ما كان لك سلطة علي لولا أنك نلتها من الله، أما الذي سلّمني إليك، فخطيئته أعظم من خطيئتك».

5 ـ حاول بيلاطس بعد هذا أن يخلي سبيله، ولكن اليهود صاحوا: «إن أخليت سبيله فما أنت من أصدقاء القيصر، لأن من يدعي الملك يكون عدواً للقيصر (متى ادعّى الملك، لم أجد أثراً لهذا

الإدعاء)». فلما سمع بيلاطس هذا الكلام أخرج يسوع وجلس على كرسي القضاء في موضع يسمى «البلاط» وبالعبرية «جباثاً» وكان ذلك يوم الجمعة يوم التهيئة للفصح والوقت نحو الظهر، فقال لليهود «ها هو ملككم» فصاحوا: «اقتله، اقتله، اصلبه»، فقال لهم «بيلاطس»: «أأصلب ملككم؟ «فأجاب رؤساء الكهنة: لا ملك علينا إلا القيصر»، فسلمه إليهم ليصلبوه.

من دراسة واقعة الصلب في إنجيل يوحنا يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

1 ـ أن السيد يسوع المسيح لم يكن يهوديا وحتى بنظر نفسه كان جليليا ناصريا والجليليون كما هو معروف رفضوا الديانة اليهودية وأكرهوا على الختان.

2 ـ وتزيدنا هذه القرينة اقتناعاً لتصبح دليلاً بأن يسوع المسيح لم يكن «ابن إسرائيل» كما يزعم البابا، بل هو ابن البيئة السورية بدلالة جوابه لبيلاطس «ليست مملكتي من هذا العالم ولو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عني أتباعي حتى لا أسلم إلى اليهود، لا مملكتي ليست من هذا العالم».

فقوله «حتى لا أسلم إلى اليهود» يفيد على الأقل أنه غريب عن هذه الجماعة وليس منها ولو كان يهودياً لقال شيئاً آخر كقوله مثلاً: حتى لا أسلم لرؤساء الكهنة أو الفريسيين أو معلمي الشريعة الذين أظهروا عداء لرسالته. أما قوله «لليهود» فهو قول مطلق يجري على إطلاقه ويشمل جماعة ليس منها ولا ينتسب إليها بصلة انتماء أو نسب.

3 ـ أن رسالة المسيح هي رسالة روحية مناقبية ليس من أهدافها ابتغاء سلطة زمنية أو سن تشريع زمني، هدفها هو الإنسان، سموه ورفعته وإعلاء شأنه ليستحق بنوة الله، بدليل قوله «مملكتي ليست

من هذا العالم» و«أنني جئت إلى هذا العالم لأشهد للحق، فمن كان من أبناء الحق يستمع إلى صوتي».

4 ـ إن رؤساء الكهنة ومعلمي الشريعة وجموع اليهود أصروا على المطالبة بصلب المسيح وقتله بينما تردد «بيلاطس» في الحكم عليه لأنه بريء من جميع ما اتهمه به اليهود، إلا أنه رضخ في النهاية لإصرارهم.. وحكم على بريء بالموت، وهو ما يجعلنا نصر على عدم جواز تبرئة اليهود من دم الفادي.. تحت أية حجة وبالاستناد إلى أي اعتبار، وإدانة اليهود واليهود فقط، ولوم «بيلاطس البنطي» لأنه قضى بما هو غير مقتنع به مستسلماً لشهوة اليهود ورغبتهم في التخلص من المسيح.

إن «براءة اليهود من دم المسيح» مخالفة للنصوص الإنجيلية ولأقوال السيد نفسه وتدل على أن البابا رضخ لنفوذ اليهود وابتزازهم رضوخ بيلاطس ولا يختلف عنه بشيء.

هنا يرد السؤال الخطير الذي طرحناه ونطرحه الآن بكل وضوح: من أين لقداسة البابا مهما بلغت عصمته أن يتجاوز الوقائع والنصوص الإنجيلية وينسخ أقوال السيد المسيح فيعلن تبرئة مجرم قاتل؟..

فلو قيل لنا إن البراءة تتناول يهود اليوم الذين لا يجوز أن يؤخذوا بجريمة آبائهم فهذا يقتضي أمرين على الأقل:

1 ـ أن يستنكر هؤلاء الأبناء جريمة آبائهم أو أن يؤمنوا بأن الذي جاء هو المسيح المخلص ومنقذ للإنسان أينما كان الإنسان، بصرف النظر عن هويته ودينه ومعتقده، ولايستمرون ينتظرون «مسيحهم» الذي سيحقق أطماعهم وسطوتهم وسيطرتهم على باقي الشعوب ومنهم شعبنا وأرضنا وكرامتنا القومية وتراثنا القومي.

2 ـ أن لا يرتكب الأبناء الجرائم التي ارتكبها آباؤهم فيقتلون كل يوم

طفلا أو امرأة أو شيخا في فلسطين وجنوب لبنان والجولان، وهي جرائم لاتقل هولا وفظاعة عن جريمة آبائهم في قتلهم السيد المسيح وسواه من الانبياء والمرسلين. ومن أمثال هذه المجازر الجماعية «مجزرة دير ياسين» في 9 نيسان 1948، حيث هاجمت فصائل إرهابية صهيونية من منظمتي «لشغاي ليومه» و«شتيرن» قرية «دير ياسين» ودمروها وأحرقوا بيوتها وبقروا بطون الحوامل من نسائها وقتلوا والشيوخ والأطفال والرجال من سكانها ورموا الجثث في آبار القرية، وبلغ عدد القتلى ما يربو على 254 إنساناً، فضلاً عن مذبحة «قبية» و«رفح» و«دير قاسم» وأخيراً وليس آخراً. مذبحة «صبرا وشاتيلا وقانا» التي لاتزال ماثلة في أذهان الكثيرين.

3 ـ بمعنى أن يسلك الأبناء طريقا غير الطريق التي سلكها آباؤهم، حتى يمكن إعادة اعتبارهم، أما أن يكون الأبناء فاقوا أباءهم حقداً وكيداً وتحجراً وقتلاً وتشريداً، فإن تبرئتهم، علاوة على تجاوزها النصوص الإنجيلية وأقوال المصلوب نفسه، تبرئة في غير محلها. كان بإمكان البابا أن «يغفر لليهود» فعلتهم فيحذو حذو السيد على الصليب ويقتدي به، أما أن يتجاوز أقواله ويخالف النصوص الإنجيلية فإنه أمر خطير جداً. إنه لا يستطيع مهما بلغت «عصمته» أن يبرئ قاتلاً، فالجريمة ملتصقة باليهود ولا يستطيعون الفكاك منها، طالما أنهم لم يقروا بصدق رسالة السيد المسيح وطالما أنهم لا يزالون يعتبرونه منافقاً وكذاباً ويستحق الصلب ويستوجب الموت، وطالما أنهم لا يزالون يعتبرون «مسيحهم» هو الذي سيقيم مملكتهم على أجساد السوريين من الفرات إلى النيل، وبالتالي فإن جريمتهم مستديمة ومستمرة.

4 ـ الفرق بين الغفران والبراءة واضح لا لبس فيه ولا يخفى على كل

ذي بصر وبصيرة، فالغفران يبقي على الجريمة ومرتكبيها، بينما تزيل البراءة الجريمة وتعتبرها كأنها لم تكن أو أنها ارتكبت، وفاعلها بريء، لم يرتكب فعلاً شائناً يعاقب عليه.

وهنا تكمن خطورة الإعلان الفاتيكاني القاضي ببراءة اليهود من دم المسيح، فضلاً عن أن السيد، وهو مرفوع على الصلب «غفر» للفاعلين الذين عملوا على صلبه، فعلتهم، «لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون»، إلا أنه لم «يبرّئهم» بل بقوا الفاعلين الذين أدانهم ويدينهم التاريخ والأجيال على جريمتهم.. والبراءة.. بهذا المقياس، هي تجاوز على كلام السيد وتطاول عليها وتأويل مغلوط لها، فضلاً عن أن اليهود أنفسهم أعلنوا أن «دم المسيح هو عليهم وعلى أولادهم».

هنا أجد أنه لابد من التعريف بالأناجيل الأربعة وأصحابها «متى ومرقص ولوقا ويوحنا» وموقع كل منهم من الديانة المسيحية ومدى قربه أو بعده عن الديانة اليهودية.

إنجيل متى:

متى أو «لاوي بن حلفي»، كان عشاراً أي جابياً لدى الدولة الرومانية، وكان العشارون مكروهين من اليهود. دعاه يسوع وهو جالس إلى مائدة الجباية فترك كل شيء وتبعه وأولم له وليمة خاصة حضرها العشارون والخاطئون ورأى بعض الفريسيين ذلك فقالوا لتلاميذه: «لماذا يأكل معلمكم مع جباة الضرائب والخاطئين»؟ فسمع يسوع كلامهم وأجاب: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، فاذهبوا وتعلموا معنى هذه الآية «أريد رحمة لا ذبيحة»، وأنا ما جئت لأدعو الصالحين إلى التوبة بل الخاطئين».

ويذكر «اقليمس الاسكندري» أن متى عاش حياة زهد وتقشف وأنه

بشّر في فلسطين ثم غادرها إلى الأمم وبشّر بالإنجيل وقد تكون بلاد فارس وفيها استشهد[108].

يمتاز إنجيل متى بطابعه اليهودي شكلاً وموضوعاً، لذلك فهو يسلك طريقاً محفوفة بخطر تهويد المسيحية. بنظره يسوع ينتسب إلى «داود» جسداً، ويسوع هو المسيح الذي سبق أن وعد به الله «شعبه المختار» وهو ينتهز كل فرصة ليصل يسوع بالنبوءات الواردة على لسان أنبياء التوراة اليهودية، «ويسوع لم يأت لينقض بل ليكمل»، وفلسطين في لغته هي «أرض إسرائيل» وسكانها «آل إسرائيل» أو «بيت إسرائيل» والله هو «إله إسرائيل» وأورشليم هي المدينة المقدسة وقبلة لـ«بني إسرائيل» واليهود هم بنو «الملكوت» و«يسوع أتى ليخلص خراف بني إسرائيل الضالة» والكنعانيون السوريون لا يستأهلون المساعدة والشفاء لأنهم «كلاب» فلا يجوز أن يؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب، وتخوم صور وصيدا ليست كما هي عند لوقا فينيقية سورية. فهو يحاول «بدون توفيق» أن يوفق بين أن يكون المسيح من اليهود أتى ليخلصهم وحدهم وبين أن يكون مخلص العالم أجمع.

من المهم أن نذكر في هذا السياق أن «متى» هو أول الإنجيليين وأنه كتب الإنجيل بالآرامية مابين السنتين 75 و77 للميلاد ثم ما عتم هذا الإنجيل أن ترجم إلى اليونانية وقد يكون هو مترجمه، وقد أضحت هذه الترجمة بعد فقدان الأصل هي النص الذي اعتمدته الكنائس المسيحية.

إنجيل مرقس:

مرقس هو الإنجيلي الثاني ومرقس لقبه واسمه الأصلي هو «يوحنا»

(108) يسوع المسيح: حياته رسالته شخصيته ص 21 الياس نجمة.

كما «بولس» هو لقب «شاول الفريسي». وكان لمرقس بيت يقطنه مع مريم أمه وكان مسيحيّو المدينة المقدسة يجتمعون فيه حتى أن بطرس ذهب تواً إليه بعد خروجه من السجن.

يعد مرقس ترجمان بطرس ومعاونه حتى أن هذا الأخير يدعوه ابنه وكان بقربه وعلى صلة وثيقة به، فهو يوم كتب رسالته نحو السنة 204م وهي سنة الاضطهاد التي استشهد فيها بطرس قد تكون هي السنة التي كتب فيها مرقس إنجيله.

يتميز إنجيل مرقس بأنه أوجز الأناجيل أو قل هو ملخصها فلا نجد فيه ما يختص به دون سواه سوى عدد يسير من الأحداث التي انفرد بذكرها، وهذا ما جعل مفسري الأناجيل يعيرونه اهتماماً أقل من سائر الأناجيل، وإنجيل مرقس هو خلاصة دعوة «بطرس» كتب باللغة اليونانية وغايته أن يبين أن المسيح هو ابن الله بدليل قدرته المتفوقة على الأرواح الشريرة وقوى الطبيعة والموت والحياة والصحة والمرض. هذا ونشير أخيراً إلى أن التقليد يعزو إلى مرقس تأسيسه كنيسة الإسكندرية بينما نجهل حتى الآن الظروف التي حملته إليها كما نجهل ظروف وفاته[109].

إنجيل لوقا:

ما نعلمه عن «لوقا» أنه كان طبيباً انطاكياً وثنياً آمن بالمسيحية منذ تأسست كنيسة أنطاكية وهو ذو ثقافة يونانية ورومانية واسعة، وما نعلمه أيضاً من كتاب «أعمال الرسل» العلاقة الوثيقة التي كانت تربط لوقا ببولس «فقد كان معاونه في الخدمة الرسولية حتى استشهاده بسيف نيرون عام 67م».

(109) المرجع السابق ص 23.

بين عامي 27 ـ 29م وكان بولس سجيناً في أورشليم ثم في قيصرية، اعتكف «لوقا» لكتابة الإنجيل وتقصي الأحداث عن طريق الاتصال بالشهود العيان «الذين كانوا شهوداً عياناً للكلمة وصاروا خداماً لها كما يذكر في مستهل إنجيله».

وقد يكون «لوقا» اتصل بمريم العذراء وتلقى منها ما أورده هو في إنجيله عن بشارة الملاك لها وعن مولد يسوع، ولا نشك أبداً في أن لبولس أثراً واضحاً في إنجيل لوقا. «فقد كان نوراً للوقا» كما يصفه «ترتليانوس»، ولكنه يختلف عن مرقس الذي كان صدى متواضعاً لبطرس. ومرد الاختلاف أن لوقا الطبيب الواسع الثقافة يستقي عناصر إنجيله من مصادر أخرى ومن أشخاص عاشوا مع المسيح وسمعوا منه ما يروون من أحداث وأقوال. لذلك يعد مفسرو الإنجيل إنجيل لوقا «إنجيل الإنسان» على وجه الإطلاق يهودياً كان أم وثنياً كبيراً أم صغيراً، باراً أم خاطئاً، غنياً أم فقيراً. ولولا إنجيل لوقا لما عرفنا مثل «السامري الصالح» ومثل «الخروف الضال»، ومثل «الدرهم الضائع» و«الابن الشاطر» و«دموع المرأة الخاطئة عند قدمي يسوع» و«توبة زكا» رئيس العشارين و«توبة اللص» على الصليب و«غفران يسوع لصالبيه».

ولولا لوقا لما عرفنا النظرة المسيحية للمرأة أنها نظرة ترتكز على سمو إنسانيتها وبنوتها للسيد المسيح، ومع هذا فقد نعثر أيضاً على ما يوحي بتأثره باليهودية سواء في «نشيد مريم» أو في «نشيد زكريا» أو باعتماده النبوءات اليهودية وخاصة نبوءة «أشعيا» عن يوحنا المعمدان أو في نسب يسوع المسيح[110].

(110) المسيح حياته شخصيته رسالته ص 28 الياس نجمة.

إنجيل يوحنا:

كان الإنجيلي يوحنا تلميذاً ليوحنا المعمدان يوم عرف المسيح لأول مرة على ضفاف الأردن، دعاه المسيح مع أخيه «يعقوب» للالتحاق به فاستجابا لطلبه وكانا منصرفين لشؤون الصيد مع أبيهما زبدي.

ويعرف أن يوحنا كان أكثر الرسل قرباً للسيد المسيح وهو الذي يشير في إنجيله إلى نفسه بالتلميذ الذي كان يحبه يسوع، وقد بلغت هذه المحبة مبلغاً عميقاً سمحت ليوحنا في العشاء الأخير أن يتكئ على صدر يسوع ليسأله عن الخائن من التلاميذ، وقبيل أن يلفظ يسوع أنفاسه الأخيرة على الصليب استودعه أمه الثكلى ليكون لها ابناً وتكون له أماً.

في السنة 44 قتل «هيرودوس أغريبا» أخاه «يعقوب» بالسيف وفي السنة 51 اشترك يوحنا في مجمع أورشليم الذي أقرّ فيه الرسل خطتهم في التبشير بين الأمم.

في أواخر القرن الأول نجد يوحنا في آسيا الصغرى يزور الكنائس ويوطّدها تكتنفه هالة من الاحترام العميق، وفي عام 96م عندما عاد إلى أفسس باشر بكتابة إنجيله باللغة اليونانية بعد أن طعن كثيراً في السن.

يعتبر إنجيل يوحنا الإنجيل الروحي كما عده «اقليمس الاسكندري»، فيه تُحِسُّ يسوع مالئاً حياة يوحنا وفكره بل «الكلمة الأزلي والإله الحي والطريق الذي يقودنا إلى الآب» ولولا بعض الهنات التي أوردها هو نفسه عن «يهودية المسيح» وتناقضها مع الأقوال التي نقلها عنه أثناء محاكمته أمام «بيلاطس»، لاعتبر انجيل يوحنا الأول بين الأناجيل من حيث تعبيره عن حقيقة المسيح وتعاليمه.

وما نريد أن نشير إليه ونشدّد عليه أن جميع الكنائس المسيحية وبدون استثناء لا تخلو صلواتها من ترديد قراءات وتراتيل تشير إلى إسرائيل واليهود وأنبيائهم، وهذه دلالة من جملة الدلالات التي سقناها على تأثير وفعل المسيحية المتهودة في المعتقد المسيحي.

لقد سبق لنا وأشرنا إلى ذلك في مؤلفنا «مآثر سورية في العصر الروماني» ودعونا إلى تنقية التعاليم المسيحية من البدعة التهويدية الكبرى التي جعلت لإسرائيل وإله إسرائيل وأنبياء إسرائيل مكاناً في صلواتنا، وما أدعى الكنائس السورية بمختلف انتماءاتها أن تطرد إله الشر والإثم من هياكلها، فتعيد للمسيحية صفاءها وإنسانيتها ورسوليتها ومسكونيتها.

إن استمرار تأثير المسيحية المتهودة في المسيحية مدعاة لإفساد تعاليمها، وهو ما تحاول الصهيونية العالمية فعله لهدم المسيحية وتعاليمها وصلب المسيح مرة أخرى..

دعوة إلى التهوّد:

التعريف بكتاب «البحث عن يسوع» (قراءة جديدة للأناجيل): كتاب من القطع المتوسط لا يزيد عن 170 صفحة عدا الفهرس العام، مؤلفه الدكتور كمال الصليبي، «أستاذ شرف في كلية الآداب والعلوم»، «الجامعة الأميركية» في بيروت، أصدرته «دار الشروق للنشر والتوزيع» في عمان، الأردن في سبتمبر 1999.

حظيت بهذا المؤلف صدفة، وبعد اطلاعي على مضمونه، هالني ما احتواه من أضاليل وتحريفات وتآويل، خيّل إليّ بعدها، أنه لو قُيّض لقيافا أن يبعث حياً ويكتب في سيرة يسوع بالتعاون مع رصفائه حاخامات اليهود، لما زادوا عليه شيئاً، بل ولما أفلحوا في النيل من السيد المسيح والتهجم عليه بالصورة والطريقة اللتين انتهجهما كاتب الكتاب.

ومع أن المؤلف زعم في مقدمه كتابه بأن كتابه، «على حد تعبيره»، هو محاولة للوقوف على الحقيقة التاريخية ليسوع الناصري المعروف بالمسيح... و«حل اللغز» الذي ما زال، حسب زعمه، قائماً بشأنه سواء من ناحية تاريخية شخصه أو من ناحية المعتقد المسيحي.. فإن مزاعمه فاسدة أفسدها التطاول على شخص السيد بتجريده من تعاليمه المناقبية التي أتى بها وعلّمها واستُشهد على الصليب من أجلها، ومحاولته فاشلة لأنها تجاوزت الحدود المعرفية وتخطّت مشروعية العقل في التدقيق والتحليل في كل ما يرى من الحقائق، مما جعل السِّمَة الغالبة للكتاب، فقدان الموضوعية لقيام أحكامه على الاستنتاج الفردي التعسفي

ولاعتماده الترجيحات والتعلاّت (لعلّ وربّما ويجوز ولابدّ، ويمكن الخ..) مما لا يجيزه النقد الموضوعي سواء أكان نقداً كتابياً أو نصياً.

يضاف إلى ذلك اختياره الانتقائي للنصوص الإنجيلية التي يراها الكاتب داعمة لوجهة نظره واستبعاده نصوصاً أخرى تدحضها، مما جعل ويجعل شكوكنا تبلغ مبلغ اتهام المؤلف بالتحيز ومناهضة الحقائق التي لا يعتمدها سوى أعداء المسيحية، وعلى رأسهم المسيحية المتهوّدة أو اليهودية. وهكذا فإن الكتاب «المحاولة» وحل اللغز لم يرض المنطق العقلي لخروجه على أولوياته ولا هو اقترب من القلب لجفائه عنه، بعد أن أنكر عليه حقه بل جميع حقوقه في رؤيته الحقائق الكونية بالصورة التي يؤمن بها.

تسمية الكتاب:

بعد هذه المقدمة التي لم نجد مندوحة منها، نحاول التعرض لمضمون الكتاب:

فإطلاق تسمية الكتاب «البحث عن يسوع» يشير إلى ما يريد المؤلف الإيحاء به إلى القارئ، بأن يسوع شخصية مشكوك بوجودها وضائعة في حنايا التاريخ. وهو بحاجة إلى جهود وعلم الدكتور الصليبي للبحث عنها والعثور عليها، طبعاً ليس كما يؤمن المسيحيون بها، بل بصورة تناقض النصوص الإنجيلية، وهو ما حمل الدكتور الصليبي على «إعادة صياغة الأناجيل» حسب هواه، ووفق وجهة نظره. (ينظر إلى الصفحات 64 وما يليها من الكتاب)، منصّباً نفسه في معظم الأحيان «إنجيلياً ورسولاً» مقوّماً ومصحّحاً مضمون الأناجيل وما ورد فيها وإعادة صياغتها بالصورة التي تحلو له وتوافق مزاجه وما رمى إليه..

يسوع المسيح شخصية تاريخية غير مشكوك فيها، وجدت وتحدثت عنها المصادر غير المسيحية والمسيحية. ومنها المصادر اليهودية والوثنية:

1 ـ المصادر غير المسيحية[111]:

لا شك في أن لدينا بعض الكتابات من مؤرخي اليهود والرومان الوثنيين تمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى السيد المسيح، بيد أن هذه المخلفات لا تعدو أن تكون شذرات أو إشارات مقتضبة كتبت في مناسبات عارضة، وأكثرها وليد الحقد عليه، حقد يهود التلمود، وحقد بعض الوثنيين الذين كانوا يسعون من ورائها إلى استثارة سخط السلطات وغضب الشعب على الدين الجديد الذي أخذ يتفشى في جميع أنحاء المملكة، وأمسى بتياره الفكري والاجتماعي والأخلاقي خطراً مسيطراً على مختلف النظم القائمة في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية.

ذلك أن المسيحية، في فجر وجودها، لم تكن في رأي العالم الإغريقي الروماني سوى «بدعة يهودية»، أو تيار فكري جديد سرى بين اليهود فكان له أنصاره، وكان له مناوئوه. ولا تعدو من ثم أن تكون أزمة هزت الشعب اليهودي من الداخل وفي الداخل، ولا ضير منها إلا لتلك الملة القلقة المقلقة: فالعرش أعز من أن يناله منها سوء، وأرفع من أن يأبه لمعبود اليهود ولكل ما يثار حوله من ألوان التناحر العقائدي.

غير أن هذه اللامبالاة المنبثقة من كبرياء رومة التي كانت، يوم ذاك، عاصمة العالم ما عتمت أن استحالت حرباً لاهبة ودفاعاً

(111) المسيح سيرته وحياته وشخصيته ص 4 و5 و6 و9 الياس نجمة.

مستميتاً عندما أحست ـ ساسة ومفكرين ـ أن المسيحية ليست محض أزمة يهودية لا غير، وإنما هي ثورة شاملة تهدد بقلب أوضاع المملكة بأسرها.

أما في نظر العالَم اليهودي الفريسي لم تكن المسيحية سوى جحود لدين الآباء والأجداد، وتقويض لمعاقل العنصرية، وتحطيم لأزهى الآمال وأرسخها تأصلاً في بطون الأسفار المقدسة، وتحد صارخ لمواعيد «إله إسرائيل» بإعزاز ساعد شعبه وبسط ظله على جميع شعوب الأرض «فيرعاها بعصا من حديد» وكمثل آنية الفخار يسحق حصن كبريائها المتشامخ. لذلك غلى مرجل حقدهم على النصرانية وأهلها، ومضوا، فعل الحانق الموتور، ينفثون في جنبات تلمودهم سموم الانتقام والتشفي بخلق الأخبار الحقيرة حول يسوع وحول المنتمين إليه.

ومن ثم فسواء كانت المصادر غير المسيحية يهودية أم وثنية لا يمكن التعويل عليها في كتابة حياة يسوع، بيد أن الإتيان على ذكر البعض منها قد يكون منه بعض النفع من بعض الوجوه.

فمن أهمها:

1 ـ «أعمال بيلاطس» التي يشير إليها القديس «يوستينوس» في دفاعه عن المسيحية سنة 150م، على أنها تحتوي بياناً من «بيلاطس» إلى القيصر «طيباريوس» عن محاكمة يسوع وموته.

2 ـ رسالة من بلينوس حاكم بيثينية والبنطس إلى القيصر «ترايانوس» سنة 112م، يعرض فيها مشكلة وجود المسيحيين في آسية الصغرى:

«إنك لا تجد مدينة أو قصبة أو قرية حقيرة لم يدخلها هذا المذهب.. ويجتمع هؤلاء المسيحيون في يوم معين، قبيل الفجر، وينشدون الأناشيد للمسيح إلههم، ويتعهدون بقسم ألا يسرقوا،

ولا يكذبوا، ولا يتعاطوا شيئاً من ضروب الفحشاء.. بيد أن كهنة الآلهة يتذمرون، والهياكل تقفر، وباعة لحم الذبائح كسدت سوقهم»[112].

3 ـ «حوليات»: «تاقيتس» نحو السنة 116م، يتكلم فيها على المسيحيين بداعي حرق رومة سنة 64م، لقد شاعت وشوشة في الناس تلصق تهمة الحريق بأمر من «نيرون» نفسه، فألقى العاهل التهمة على المسيحيين «أعداء الآلهة والشعب». ومما قاله «تاقيتس»:

«لقد دعوا مسيحيين نسبة إلى المسيح الذي حكم عليه الوالي «بنطيوس بيلاطس» في أيام «طيباريوس». وهذه الشيعة الخبيثة التي كُبحت في بادئ الأمر عادت فانتشرت انتشاراً غريباً ليس في اليهودية فقط حيث نشأت، بل في المدينة (رومة) نفسها أيضاً. فانبرى الحكام يعاقبون كل من يجاهر بمسيحيته فحكموا على جمع غفير منهم لا لأنهم أحرقوا رومة، بل لأنهم يبغضون الجنس البشري».

4 ـ «حياة القياصرة الاثني عشر»: للمؤرخ «سواتينس» معاصر «تاقيتس»، يتكلم فيها عن الاضطهاد الذي أثاره نيرون على المسيحيين، ثم عن أمر الإمبراطور كلوديوس «بطرد اليهود من رومة لأنهم أمسوا بتأثير «كريستوس» (المسيح) علّة قلق متواصل».

5 ـ «عاديات اليهود»: للمؤرخ اليهودي «يوسيفوس» معاصر السيد المسيح. فهذا المؤرخ اليهودي خبر دعوة «يوحنا المعمدان» واستشهاده، وخبر مقتل «يعقوب أسقف أورشليم» و«أخي يسوع».

(112) رسالة 97.

ويعزى إلى «يوسيفوس» النص الآتي الذي شك في صحته بعض العلماء، وأكدها غيرهم من وزن العلامة «هرناك» وأمثاله:

«كان في ذلك الزمان (أي عهد هيرودس انتيباس) إنسان حكيم ـ إن صح أن نسميه إنساناً ـ اسمه يسوع، كان يجترح المعجزات ويعلم الذين يحبون معرفة الحقيقة، فاجتذب إليه عدداً كبيراً من اليهود واليونانيين. وكان هذا هو المسيح. وسعى به زعماء ملّتنا لدى «بيلاطس» فأماته مصلوباً. غير أن مشايعيه ظلوا على حبهم له، وظهر لهم حياً في اليوم الثالث لموته كما تنبأ الأنبياء بذلك وبشؤون أخرى متعلقة به. وهناك جماعة من الناس لا تنفك باقية حتى اليوم، يسمون مسيحيين، نسبة إليه»(113).

2 ـ المصادر المسيحية:

هي كما هو معروف، أسفار العهد الجديد وعددها سبعة وعشرون سفراً: الإنجيل في رواياته الأربع وتليها أعمال الرسل ثم رسائل بولس الأربع عشرة ورسالة يعقوب ورسالتا بطرس ورسائل يوحنا الثلاث ورسالة يهوذا وأخيراً رؤيا يوحنا.

لقد شكك الدكتور الصليبي بصحة هذا التصنيف واعتبر رسائل بولس أهمها جميعاً، دون أن يبين لنا سبباً وجيهاً سوى أن بولس توفي عام 67م تقريباً، بينما كتابة الأناجيل ابتدأت قبل العام 70 للميلاد بقليل.

إلا أن ما ينال من تصنيف الدكتور الصليبي هو أن «بولس» لم يعرف المسيح شخصياً ولم يعايشه بل تعرّف عليه من خلال رؤياه على طريق دمشق عندما كان في طريقه إليها لملاحقة المسيحيين وتعقّبهم، أما الرسل الإنجيليون فمنهم ثلاثة عايشوه وعرفوه.

(113) تاريخ سورية ص 363 وما يليها الدكتور فيليب حتي.

طبعاً هذا لا يعني لنا أن جميع ما أوردته الأناجيل مقنع، وبخاصة الصلة النسبية التي شاء الإنجيليان «متى» و«لوقا» أن تصل يسوع «بداود»، أو زعم الصليبي بوصله «بزربابل» مع أن يسوع نفسه وفي هذين الإنجيلين قطع بأنه ليس «ابن داود» وليس له آباء يهود، إلا أن أهمية «الأناجيل»، تكمن في كونها المخزن الرئيسي لسيرة يسوع وتعاليمه، أما «رسائل بولس» فلا تعدو أن تكون إشادة وتعظيماً لـ«يسوع المسيح» وتعاليمه، بل وفلسفة لها ووصايا خاصة للإيمان بها والتضحية من أجلها وتحذيراً من الوقوع في الخطأ والضلال وأمثلة عن فعل المحبة في العالم[114].

3 ـ *مصادر هامة أخرى:*

ويأتي في طليعتها ما أورده المؤرخ الدكتور «فيليب حتي» في مؤلفه المعروف «تاريخ سورية»، واعتباره المسيحية «المأثرة السورية الثالثة في سبيل تقدم العالم» وما أورده «سعادة» في مؤلفه الشهير «جنون الخلود» عن المسيح والمسيحية، بالقول «المسيح جاء حاملاً رسالة مناقبية للقضاء على مثالب المجتمع الذي تشبث بقوانين صارت جامدة..» وقوله «بجمود الشرع، عن طريق الدين، جمدت الفلسفة المناقبية، وبطل مبدأ الفيلسوف السوري الكبير «زينون» القائل بأن الفكر أو العقل هو جوهر الحياة الإنسانية». فحدث في المجتمع السوري تصادم عنيف بين النفسية السورية والشرع الموسوي الذي أخذ يقوى على عامل العقل بسبب قوة فكرة الله التي استندت إليها والتي أخذت تتغلب على فكرة آلهة الأساطير القديمة والأصنام، ولم يعد في الإمكان التأثير على المجتمع إلا عن طريق فكرة الله وتدبيره. هذا هو السبب في اتخاذ التعاليم المناقبية

(114) تاريخ سورية ص 363 وما يليها الدكتور فيليب حتي.

المسيحية الفكرة الدينية الجديدة أساساً. فظهر المسيح بمظهر الموعود به من الله ليكون به الخلاص، وعلى الدين استند المسيح ليؤدي رسالته المناقبية التي أهم ما فيها، بصرف النظر عن أهمية تعاليمها، أنها أعادت النظرة السورية إلى الحياة القائلة بتسليط العقل على مجرى التاريخ وأن ميزة الإنسان هي الفكر، وأنها كانت انتصار النفسية الفاصل على النفسية اليهودية القائلة بتجديد الحياة وفاقاً للشرع الموسوي.

ثم قوله:

1 - «إن المسيح هو الذي حرر الإنسانية من الشرائع التي جعلتها اليهودية أحكاماً أبدية..» وأن المسيح لم يكن يهودياً، وليس له «آباء يهود».. «كان سورياً يتكلم ويخاطب الجماهير بالسريانية، وهو نفسه رفض أن يدعى «ابن داود» كما قال اليهود، فقال في ذلك: «كيف يقولون إن المسيح هو ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإذا كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه» (لوقا: 20: 41)، بهذا القول قطع المسيح كل سبيل لقيامه على أساس تقاليد اليهود أنه كان يهودياً من نسل «داود». فلا يصح أن يقال إن المسيح كان يهودياً فهو ابن البيئة السورية»[115].

2 - تفريق المؤلف بين اليهودية «كنظام ديني قائم على شريعة مكتوبة» وبين الإسرائيلية كعبادة غير منتظمة للإله يهوه تسعى وتعمل جاهدة لعودة الملك لبيت داود، وهو تفريق غير صحيح مبني على نظرة خاطئة تبريرية، لسبب بسيط أن اليهودية كانت ولا تزال هي المعتقد الديني الغالب لبني إسرائيل والمعبرة عن نفسيتهم وأخلاقهم ونظرتهم إلى الحياة،

(115) جنون الخلود ص 143 وما يليها سعادة.

إلا إذا كان الكاتب يعتبر الإسرائيلية جنسية لدولة فيها فلسطينيون ويهود.

إن تساؤل «بولس الرسول» إن كان يجوز أن يسمى اليهود إسرائيليين بعد أن رفضوا يسوع المسيح (رومية 9: 10) لا يجوز تفسيره بمعناه الحرفي، وهي عبارة يشوبها الالتباس في المعنى - فعندما يردد الكاهن في الكنيسة «السلام على إسرائيل» فإنه يعني «المدينة الفاضلة الطوباوية» وليس «دولة إسرائيل» القديمة أو المعاصرة بأي شكل من الأشكال.

3 - المسيح لم يكن داعية لنفسه بأنه «صاحب الحق بالملك على إسرائيل» كما يزعم الدكتور الصليبي. إنه زعم خطير مشوّه للحقائق التاريخية والدينية كما هو مشوّه لسيرة المسيح وحياته وتعليمه، مما يجعلنا نسأل ونتساءل عن المرجع الذي اعتمده الدكتور الصليبي للتوصل إلى هكذا نتائج أو استنتاجات وعن المقصود منها والغاية التي يرمي إلى تحقيقها وهي لا تخفى على أحد..

ليس صحيحاً أن المسيح أعلن عن نفسه أنه صاحب الحق بالملك على إسرائيل، كما اتهمه «قيافا» وبعده «الدكتور الصليبي» ومعه «حاخامات اليهود».. الذين دعوه كذلك هم اليهود أنفسهم وهذا واضح من الأناجيل الأربعة، وأكثر وضوحاً «إنجيل مرقس»، وكما يستدل من سؤال بيلاطس اليهود: ماذا أفعل بالذي «تدعونه» ملك اليهود[116].

الحجج التي ساقها الصليبي في هذا المنحى تعتمد كلها على إشارات صدرت عن بولس، وليس إلى أدلة أو دلالات، فضلاً عن أن هذه «الإشارات» لا يترتب عليها هذا الاستنتاج الخطير:

فقول بولس بأن يسوع كان «إسرائيلياً» ولا يعرّفه بأنه كان «يهودياً»،

(116) مرقس 12: 13.

لا يمكن تفسيره إلا في الحدود التي تعنيها الكنيسة لدى استعمالها هذه العبارة، كما أسلفنا. وكذلك قول بولس بأن يسوع كان من «نسل داود»، ينفيه ويبطله المسيح نفسه.. أما إشارة بولس إلى أن يسوع كان في الأصل «غنياً» ثم «افتقر» من خلال سعيه إلى الخير العام (في الأصل من أجلكم) ومحاولة الدكتور الصليبي الإيحاء إلى أن السيد المسيح كان متمولاً وأنه أنفق أمواله في سبيل تحقيق هدفه، وهو الاستيلاء على «عرش داود».. محاولة تدعو للرثاء فعلاً ووسيلة تهدف إلى غاية، بل تكشف عن غاية في نفس «يعقوب».. الغاية واضحة هي الحطّ من شأن المسيح.. وجعله مجرّد داعية لعرش داود، وليس معلِّماً وهادياً وصاحب رسالة مناقبية وأخلاقية سامية جعلت من الذين عايشوه وعرفوه مقتنعين بأنه لم يكن شخصاً عادياً بل «ابن الله».

لا أريد أن أزيد وأستزيد فتعاليم المسيح التي لم يشر إليها الصليبي بكلمة واحدة، حيّة وواضحة ولا تحتاج إلى إيضاح، ويمكن الرجوع إليها، إنها تكذّب تهجّمات وإهانات «الصليبي» للمسيح، تبخيساً لتعاليمه ودعوته ورسالته التي قضى من أجلها على الصليب.

4 ـ التشكيك ببتولية «مريم»، وبأن مريم هي «أم يسوع» وهو «ابنها الوحيد»[117] كما تشير الأناجيل الثلاثة التي تعرف مريم بأنها «أم يسوع»، بينما يشير يوحنا إلى أن أختاً لها اسمها «مريم» زوجة «كليوبا» هي إحدى خالات يسوع، وبولس لم يعرّفها بأي اسم.. مما يشير، برأي «الصليبي» إلى أن «مريم» ليست «أم يسوع» كما تشير الأناجيل وأن يسوع له «أخوة»، مما يصحّ الطّعن ببتوليتها، بالرغم من أن «بتولية» مريم ومسألة ولادتها السيد المسيح هي في صلب العقيدة المسيحية، وهي من

(117) البحث عن يسوع ص 47 كمال صليبي.

العجائب الدالّة على قدرة الله ونفاذ مشيئته، بل هي من أقوى مستندات اعتقادهم بألوهية المسيح، أي بحلول روح الله فيها أو بحلول اللاهوت في الناسوت[118].

طبعاً، للإجابة على الصليبي لابدّ من الإجابة على عدة أمور:

الأمر الأول، كون مريم هي أمٌّ يسوع أم لا، يضعنا أمام ثلاثة احتمالات: أن يكون هناك خطأ شائع في ترجمة النص بحيث تكون العبارة الصحيحة هي: «وهناك عند صليب يسوع وقفت أمه مريم وأخت أمه مريم زوجة كليوبا»، وإما أن يكون متعارفاً عليه اشتراك الأختين باسم واحد، وإما، وهو الأرجح، أن تكون اللفظة الآرامية «أخ وأخت» لا ينصرف معناها ودلالتها إلى الأخ الشقيق أو الأخت الشقيقة.

«إن ذلك التفسير قد بات معززاً، منذ زمن بعيد، بفضل بحث بسيط جداً في اللغات السامية، فلفظة «أخا» في الآرامية، و«أخ» في العبرية لا تشير إلى الأخ الشقيق بل تشير أيضاً إلى ابن العم، وكل ذي قربى»..

«فمن الممكن أن تكون اللفظة قد استعملت في الإنجيل، للإشارة إلى أقارب المسيح، ولاسيما إذا كان هؤلاء الأقارب قد عاشوا معاً تحت سقف واحد، كما هي العادة في الشرق، حيث تجتمع فروع الأسرة الواحدة في بيت واحد»[119].

الأمر الثاني: حول أخوة يسوع، هل كان له أخوة أم لا؟ «إن عقيدة عدد عظيم من المسيحيين تأبى الأخذ بما يتبادر إلى الذهن فوراً، من أن يوسف ومريم، بعد أن ولد يسوع ولادة معجزة، قد أنجبا حسب الطبيعة

(118) جنون الخلود ص 103 و129 و143 سعادة.

(119) يسوع في زمانه ص 47 و48 و49 دانيال روبس.

بنين وبنات، فالكنيسة الكاثوليكية تقول «ببتولية العذراء الدائمة، قبل ولادة المسيح، وفي ولادته، وبعد ولادته»..

ويبدو من الثابت للذي يتصفّح النصوص تصفحاً نزيهاً، لا يضع بقرب يوسف والعذراء سوى ابن وحيد، ثم إن يسوع كان يتكنّى في بيئته «بابن مريم»، وقد رأى «رينان» في ذلك برهاناً على أن يسوع كان وحيد أمه، هذا، ولو كان للعذراء سبعة بنين آخرين، كيف استطاع يسوع وهو يحتضر على الصليب، أن يعهد بها إلى يوحنا؟ ثم إن جواب العذراء «للملاك» يوم أنبأها بميلاد يسوع: «كيف يكون ذلك وأنا لا أعرف رجلاً؟» يبدو أنه إشارة ضمنية إلى ما كانت العذراء قد أزمعته على الاستمرار في التبتل. كل ذلك يؤلف بلا مراء مجموعة من الأدلة خليقة بالاعتبار.

بالإمكان إذاً أن نستنتج من الأب «لاغرانج» استنتاجاً حكيماً يقول: «لا تزعم أنه ثبت تاريخياً أن أخوة المسيح هم أبناء عمومته، وإنما نقول فقط إنه ليس هناك البتة ما يمكن أن نعترض به على بتولية مريم العذراء، فإن هذه البتولية تومئ إليها نصوص كثيرة من الكتاب المقدس وثبتها التقليد»[120].

هنا يعترضنا نص إنجيلي ورد في إنجيل متى،[121] وهو: «ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر»، مما قد يعني للبعض، بأن يوسف عرف مريم بعد أن ولدت ابنها يسوع، وأنجب منها «اخوة» يسوع.

إننا نعارض بشدّة جنوح هذا البعض إلى هذا المعنى لسبب لغوي يجافيه فـ«حتى» لغةً تقع حرف جر: كقولك، أكلت السمكة حتى

(120) المرجع السابق نفسه والصفحات نفسها.
(121) انجيل متى الإصحاح الأول: 25.

رأسِها، أي ورأسها. وقد تقع ظرفية إذا كانت الجملة مسبوقة بنفي كذلك، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، فتفيد أنه لم يعرفها بعد أن ولدت ابنها البكر، مما يؤيد القول «ببتولية» العذراء الدائمة كما سبق وأسلفنا.

5 ـ تأويلات أخرى واستنتاجات مشبوهة القصد: أولها: الاستنتاج بأن يسوع لم يكن يعمد أتباعه، كما صار يفعل تلاميذه من بعده، مما يشير إلى أن يسوع لم يكن يسعى إلى إيجاد ديانة خاصة به، بل تلاميذه هم الذين فعلوا ذلك في وقت لاحق، هو استنتاج مبالغ فيه فديانة السيد هي تعاليمه ما دعا إليه.. وهي التعاليم التي دفعت بالمؤمنين، وعلى رأسهم بولس، أن يدعوا لها ويستشهدوا من أجلها. فالدين، أي دين، في أساسه هو عقيدة وإيمان وهو فوق ذلك ومع ذلك بالنسبة إلى المسيحية خاصة، نظرة فلسفية مناقبية تعنى بالإنسان وسلوكه في الحياة وخلاصه بعد الموت..

لم يعلن المسيح أنه صاحب ديانة خاصة، بل أعلن وعلم ومارس بأنه صاحب تعليم متميز عن الشرع اليهودي الجامد وصاحب رسالة دفع حياته ثمناً لها وتبعه الكثيرون ممن آمنوا به من أجلها.

لم تكن هذه الرسالة قطعاً كما صوّرها «الدكتور صليبي» بكثير من التشكيك ابتغاء عرش داود، بل ابتغاء عرش الله، فمملكته ليست من هذا العالم، وهو أتى إلى هذا العالم ليشهد للحق، كما أعلن أثناء محاكمته أمام «بيلاطس البنطي».

الأناجيل لم تضع أساساً لإقامة البرهان على أن يسوع ما هو إلا المسيح الموعود فقط، كما يشير الصليبي، بل وأيضاً بأنه أتى لخلاص البشر ولإقالة الإنسان من عثاره والنهوض به إلى «ملء اكتماله الإنساني»، وبينما استشف فيه الكثير من اليهود أنه أمل إسرائيل لتحرير

«الشعب المختار» من نير رومة، وأنه سيلوي لسيادة إسرائيل أعناق الشعوب.. غير أن أملهم به الذي تثيره في ضلوعهم روح عنصريتهم المكبوت، ما عتم أن استحال خيبة مرة دفعتهم إلى ملاحقته وشن حرب شعواء عليه، فالرجل أناط بنفسه رسالة عظمى لا عهد للدنيا بمثلها، تهاجم الوثنية في أعز معاقلها، واليهودية في انغلاقها على شرح جامد وعنصرية حاقدة على الشعوب.

هذا الإنسان الذي عاش بين الناس شبيهاً بالناس، استطاع أن ينتصر بتعليمه وكلمته وموته على الصليب على جميع الحاقدين عليه، ومنهم الدكتور الصليبي.

6 ـ انظر أيها القارئ، هذا الاستنتاج الرخيص والتحريف المشوه لعبارة «النجار» بأنها اسم لفخذ من سلالة داود (وتحديداً من سلالة زر بابل) الذي كان ينتمي إليه يوسف و«ابنه» يسوع، بينما الثابت تاريخياً أن «النجارة والحدادة» وسواها من المهن الحرفية هي أرفع المهن التي توصل إليها اليهود، فنعت يوسف بعبارة «النجار» لا تفي ولا يمكن أن تفي، بل لا يمكن تحميلها أكثر مما تعنيه، سيراً مع تهافت تأويلات واستنتاجات الصليبي.

يبدو لي واضحاً أن الصليبي مسوق في استنتاجاته ومشدود إلى ما توصل إليه في مؤلفيه «التوراة أتت من جزيرة العرب» و«خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل» من مقاربات لغوية، أوصلته إلى استنتاجات مشكوك بصحتها ولا يتفق معه أحد عليها، أن «الجليل الفلسطيني» الذي جاء منه يسوع، لم يكن سوى «وادي جليل» بمنطقة الطائف في الحجاز.

وما يزعمه الصليبي أن ما أفاده إنجيل يوحنا من أن يسوع «خرج من عبر الأردن» بعد لقائه يوحنا، ولم يقل «يرجع» من هناك، يعزز قوله بأن «موقع الجليل» و«الناصرة» لم يكن في الجليل، بل في الحجاز، من

السخف حقاً أن يعتمد «مؤرخ» بمستوى الصليبي على لفظة عابرة وردت في إنجيل يوحنا، ويستخلص منها ويرتب عليها نتائج تاريخية بالغة الأهمية، تعزيزاً لخرافته أو تخريفه من أن موقع «الجليل» و«الناصرة» لم يكن في فلسطين بل في «سراة عسير»، فيكون المسيح قد أتى من جزيرة العرب أيضاً.

7 ـ أغرب الغرائب أيضاً استنتاج الصليبي الذي رتّبه على عبارة قالها يسوع «أعطوا ما لقيصر لقيصر»، استنتاج مغرض خلاصته أن الحكم الروماني مقبول لديه طالما أنه لم يحرض على معاداته، بينما التفسير الحقيقي أن رؤساء اليهود لما عجزوا عن أخذه بجرم من تعاليمه أخذوا يهيجون الشعب عليه، صاروا يطلبون أن يجدوا فيه مخالفة لسلطان الدولة الأجنبية الحاكمة ليسلموه إليها، فسألوه قائلين: «يا معلم قد علمنا أنك بالصواب تتكلم وتعلم ولا تأخذ بالوجوه، بل تعلم طريق الله بالحق. أيجوز أن نعطي الخراج لقيصر أم لا. ففطن لمكرهم فقال لهم: لماذا تجربونني أروني ديناراً، لمن الصورة والكتابة؟ فأجابوا وقالوا لقيصر. فقال لهم: ادفعوا أو ردّوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».. وهذا لا يعني بوجه من الوجوه أن المسيح يعتبر الحكم الروماني مقبولاً لديه، إنه تخريف جاهل وتأويل فاسد وسطحي ومغرض.

المسيح والمسيحية يا دكتور لا تعلم الخضوع لكل سلطان كما زعم من قبلك رشيد سليم الخوري، ولو كان الأمر كذلك لكان أجاب سائليه فوراً: «يجوز أن تعطوا الخراج»، ولأنه لم يفعل، وجلّ ما فعل قوله أنه يجوز ردّ دنانير قيصر المطبوعة صورته وكتابته عليها، لذلك لم يستطع اليهود أن يأخذوه بجريمة ضدّ الدولة. استنتاجاتك يا دكتور أو معظمها تتماشى مع القول «لا إله فهي كفر، بينما «لا إله إلا الله» فهي أبلغ الإيمان».

8 ـ إن يسوع لم يكن يخاف الموت، كما تزعم باطلاً يا دكتور،

لسبب بسيط أنه سعى إليه وواجهه بشجاعة الإنسان الإله، فلا نوايا هيرودوس أخافته ولا نوايا اليهود، التي يعرفها جيداً ألقت الرّوع في نفسه المهيأة تماماً لمواجهة هذه الساعة.

وما يثبت ذلك قوله عندما قرر الدخول إلى أورشليم: «لا يجوز أن يهلك نبي إلا في أورشليم» فكأنه وبدخوله أورشليم وبقائه زهاء شهرين فيها، كان يسعى إلى الموت بدل أن يسعى الموت إليه. أما أن دخوله كان خفية، فلا يمكن أن يفسر على أنه كان خوفاً، ما كان يخاف عليه فعلاً، هو أن يموت قبل أن يكون قد بلّغ رسالته.

أباطيل وأراجيف تملأ كتاب «البحث عن يسوع» يطول بنا الحديث إذا حاولنا أن نردّ على كل منها وتفنيدها واحدة واحدة، لقد رَددنا على معظمها وأهمها خاصة منها تلك التي تثبت إيغاله في عداء المسيح والمسيحية وتشويه تعاليمها والحطّ من شأنها ومن شأن رسولها بل من شأن تلامذته وحوارييه وخاصة يوحنا.. وجعل منه رجلاً لا إيمان له ولا أخلاق وكذلك بطرس وسائر التلاميذ، مع أنه كان «التلميذ الحبيب» الذي اتكأ على صدر معلمه ليلة تسليم «يهوذا الإسخريوطي» له إلى أعدائه اليهود، فضلاً عن أنه الذي ائتمنه على أمه قائلاً، وهو على خشبة الصليب: «يا امرأة هذا ابنك، وللتلميذ هذه أمك» فأخذها التلميذ إلى بيته من تلك الساعة.

أما بشأن الكتابة التي علقت على صليبه «يسوع الناصري ملك اليهود» فكانت بأمر من «بيلاطس» وأما احتجاج رؤساء الكهنة على ذلك بقولهم «لبيلاطس»: «لا تكتب ملك اليهود، بل اكتب: هذا الرجل قال: «أنا ملك اليهود» فأجابهم «ما كتبته كتبته».

فإنها حجة تكذبها وقائع المحاكمة وأقوال المسيح نفسه جواباً على

سؤال «بيلاطس»: «أأنت ملك اليهود» فأجابه يسوع: «أتقول هذا من عندك، أم قاله آخرون؟» فقال بيلاطس: «أيهودي أنا؟ شعبك ورؤساء الكهنة سلّموك إلي فماذا فعلت؟» فأجابه يسوع: «مملكتي ليست من هذا العالم، ولو كانت مملكتي من هذا العالم، لدافع عني أتباعي حتى لا أسلّم إلى اليهود، لا مملكتي ليست من هنا». فقال له بيلاطس: «أملك أنت، إذن؟» أجابه يسوع: «أنت تقول إني ملك، أنا ولدت وجئت إلى العالم حتى أشهد للحق، فمن كان من أبناء الحق يستمع إلى صوتي» فقال له بيلاطس: «ما هو الحق؟»».

يبدو أنك أنت «بيلاطس» يا دكتور، أو أنك أحد رؤساء كهنة اليهود، ليس لأنك لا تجعل من المسيح صاحب رسالة تدعو إلى الحق، بل مدع وساع للاستيلاء على عرش إسرائيل، هو يقول ويصر على أن مملكته ليست من هذا العالم، وأنت ومعك رؤساء كهنة اليهود يصرون على إلصاق التهم به جزافاً وهو بريء منها، بدليل قوله لـ(بيلاطس) جواباً على سؤال يسوع: أتقول هذا أي (ملك اليهود) من عندك، أم قاله لك آخرون، «أيهودي أنا؟». إذن الذين ادعوا ذلك زوراً على المسيح، هم اليهود من زمان، وأنت الآن؟..

لا أعجب من كل ذلك، فمن يتطاول على المسيح ويجعل منه مجرد رجل طامح بعرش داود، مطلقاً عليه نعتَ «الأمير الداودي الشاب». ومن يغمز من سمعته ملوحاً بمزاعم خصومه بأنه كان على علاقة غرامية مع «مريم المجدلية». الشاهدة الأساسية على صلبه وقيامته.. ثم من يدافع عن «يهوذا الإسخريوطي» ويدفع عنه تهمة السرقة والغدر بسيده لقاء ثمن بخس دفعه له اليهود، ويعزوها إلى منافسة وشجار التلاميذ وتحاسدهم منه، لأنه كان «المؤتمن على الصندوق» مما جعله يرفض البقاء معهم وتفضيله أن يأخذ الصندوق ويذهب به إلى موطنه في الحجاز.

روايات واستنتاجات غريبة يختلقها المؤلف ويدعو القارئ العاقل إلى تصديقها، والأغرب منها تطاوله على القرآن أيضاً بمحاولة تحريف الكلام عن مقاصده، وزعمه بأن «عيسى» في القرآن ليس «يسوع» في الإنجيل. بالرغم من أن الآيات القرآنية أتت، فيما يتعلق بولادة «يسوع» ومكانته ومنزلته داعمة للنصوص الإنجيلية ومصدقة لها.

إن من يفعل ذلك ويقول كل ذلك، بدون أن يعتمد إلى أي مستند أو مرجع أو وثيقة لا يمكن أن يكون أكثر من واغل على العلم ومتطاول على المعرفة، أو شيئاً آخر وهو يعلمه حق العلم، ونحن نعلمه أيضاً..

من مزاعم الصليبي أيضاً، وليس أدلته على أن يسوع سعى جاهداً أن يتبوأ عرش إسرائيل.

دخول المسيح إلى أورشليم، سميتها «مجازفة» ترمي إلى إعلان نفسه ملكاً على عرش إسرائيل، والوقيعة بين «يوحنا وسمعان بطرس» تختلقها أنت، وجعلتهما يتنافسان وتبلغ بينهما المنافسة حدّ الشجار، بل أنهما غضبا على «يهوذا» وحقدا عليه لأنه كان أمين الصندوق، بدليل أن يوحنا خوّنه ووصفه بأنه كان لصاً، ونسيت بل تناسيت، أن يسوع أنبأ بخيانة يهوذا، وناوله اللقمة التي يغمسها، إشارة منه إلى خيانته بين تلاميذه، قبل أن ينعت يهوذا باللصوصية فمن يبيع سيده بثلاثين من الفضة، ماذا تسميه أتريد أن تصفه بالشرف والأمانة.

كفاك يا دكتور، كفاك هذراً، وكفاك تشنيعاً بالمسيح وتلاميذه، كفاك. ثم إننا لا نفهم ماذا فعل لك يوحنا من سوء حتى تقول عنه إنه «جاء» بأم يسوع تقرباً واسترضاء لأن ابن خالته «شمعون بن مريم كليوبا»، برأيك طبعاً، كما جاء «بمريم المجدلية» ليجعلها شاهدة (كاذبة) على أن ما قاله المصلوب لأمه قبل أن يفارق الحياة: «يا امرأة، هذا ابنك»

وللتلميذ الحبيب «هذه أمك» فأخذها التلميذ إلى بيته من تلك الساعة. هل لأنه وصف «يهوذا الاسخريوطي» باللص السارق، تصب جام غضبك عليه وعلى بطرس وتصورهما على أنهما يرغبان بالاستيلاء على الصندوق والتفرد بالأموال التي فيه.. لقد جعلت «التلاميذ عصابة» يا دكتور وليس حواريين مؤمنين بسيدهم وبتعاليمه التي استشهدوا في سبيلها.

آسف يا دكتور لأنك قرأت الأناجيل، ليس قراءة «جديدة» بل قراءة «قديمة»، قراءة «قيافا» ورؤساء الكهنة اليهود.

أما عن «بولس»، فلسنا نختلف كثيراً عن نظرة الدكتور الصليبي إليه، إلا أننا نختلف معه على من هو، مع أن «بولس» عرّف عن نفسه في سفر «أعمال الرسل»، كان بودنا أن يكون بولس فعلاً من دمشق وليس ربما، ونعتزّ به، ليس فقط، لأنه جلّ المسيح ولم يزعم كما زعمت يا دكتور بأنه مجرد شخص مطالب بالعرش الإسرائيلي بل لأنه «صورة الإله غير المنظور» «بكر كل خليقة» كما يقول بولس. فأهمية بولس بنظرنا بأنه أعطى المسيحية بعدها الإنساني أو بالأحرى المسكوني وأبعدها عن اليهودية ونواميسها الجامدة، أما قصة «الرقوق» التي عثر عليها في «العربة» وأتى بها إلى دمشق، فهي كسواها من الروايات التي صورها أو ابتدعها خيال الدكتور الصليبي الخصيب.

ماذا أبقيت من المسيحية يا دكتور في مؤلفك سوى أراجيف اليهود عن يسوع؟!. فمريم بنظرهم كما بنظرك ليست «عذراء» ولدت يسوع بقدرة إلهية بل بتواصل جسدي مع يوسف، ويسوع ليس ولم يكن «ابن مريم» كما هو ثابت في الأناجيل، طالما أن هناك امرأة اخرى هي «مريم زوجة كليوبا».

ويسوع جعلته من سلالة «زر بابل» وكأنك تملك شجرة عائلته، وجعلت منه مدّع «لعرش داود» وساع للتربّع على عرش إسرائيل، وهي التهمة نفسها التي اتهمه بها رؤساء كهنة اليهود أثناء محاكمته بناء على طلبهم، عندما قالوا لبلاطس: «لا تكتب ملك اليهود، بل اكتب: هذا الرجل قال: أنا ملك اليهود. بخلاف قول يسوع: إن مملكتي ليست من هذا العالم.. أنا ولدت وجئت إلى هذا العالم لأشهد للحق، فمن كان من أبناء الحق يستمع إلى صوتي».

وأنت يا دكتور، شأنك شأن اليهود، أنكرت على يسوع أنه صاحب تعليم وصاحب رسالة وصاحب فلسفة مناقبية.. بدليل أنك لم تذكر شيئاً عن تعليمه ورسالته، وعندما ذكرت قوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ذهبت في استنتاجك باطلاً «أن الحكم الروماني مقبول لديه».

أنت سمّيت دخوله إلى أورشليم «بمجازفة» القصد منه إعلان نفسه ملكاً على عرش إسرائيل، والذي يجازف لا يمكن تسميته جباناً كما سميته أيضاً.

وأنت جعلت من تلاميذه «عصابة» يتنافس أفرادها على الاستيلاء على «مال الصندوق» المؤتمن عليه حليفك ونصيرك «يهوذا الإسخريوطي» الذي برّأته من جريمة خيانة سيده.. وأنت يا دكتور، والقائمة طويلة، عملت على تنصيب نفسك «إنجيلياً» خامساً يعيد كتابة الأناجيل كما تشاء، وليست كما هي.. وكما جاءت على لسان الإنجيليين الأولين.

ولا أجد خيراً من قول سعادة في المسيحية: «لم ترتق فكرة الله عن فكرة الأصنام إلا بتعليم المسيح، فقد نسخ المسيح فكرة كون الله مختصاً

بشعب دون شعب يحارب حروبه ضد الشعوب الأخرى. فصار الله في المسيحية إله جميع البشر على السواء لا يفرق بين سوري وهندي وأميركي. ورفض المسيح أن يكون من نسل «الشعب المختار» من صلب داود. ولم يبق في المسيحية من فضل لإنسان على إنسان إلا بالعمل والرحمة في المجتمع والعدل في الحكم».[122]

(122) الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية. ص113 سعادة.

مراجع البحث

- الإنجيل
- التوراة
- التلمود
- الآثار الكاملة (9) ـ جنون الخلود ـ أنطون سعادة.
- اليهود في التاريخ ـ د. غوستاف لوبون ـ ترجمة: عادل زعيتر.
- اليهودية ـ د. أحمد شلبي.
- تاريخ سورية ـ د. فيليب حتي.
- التوراة جاءت من جزيرة العرب ـ د. كمال الصليبي.
- خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ـ د. كمال الصليبي.
- البحث عن يسوع (قراءة جديدة في الأناجيل) ـ د. كمال الصليبي.
- مآثر سورية في العصر الروماني ـ عيسى اليازجي.
- الموسوعة البريطانية.
- يهود الخزر ـ د. وديع بشور.

للمؤلف

- **مآثر سورية في العصر الروماني**
دار فكر للأبحاث والنشر 1991.

- **سعادة والفكر السياسي**
مرنيج للطباعة والنشر 1992.

- **أضواء على فكر سعادة**
بيسان للنشر والتوزيع والإعلام 1997.

- **تاريخ الفكر السياسي من سرجون إلى سعادة**
بيسان للنشر والتوزيع والاعلام 1998.

الفهرس